منشورات Cnades
- 01 -

سفراء الأدب

الجزء الأول

جمع وإعداد:
أ. عمـــر لـــوريكي

تقديم:
أ. إبراهيم أوحسين

سفراء الأدب
جمع وإعداد: أ.عمر لوريكي
الدورة الأولى 2021

المملكة المغربية
ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
وزارة الشباب والثقافة والتواصل
المديرية الجهوية بسوس ماسة
ـ قطاع الثقافة ـ

المركز الوطني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
Cnades
Centre National de développement Economique Social et Culturel

مسابقة سفراء الأدب، الدورة الأولى، 2021
القائمة القصيرة الممتازة

القصة القصيرة

حبل الدهر المفتول للكاتبة: حفصة أسرايدي من المغرب
إلى بعيد للكاتب: أحمد محمد الطيب من مصر
عمود إنارة ثمل للكاتب: عبد الجليل ولد جموية من المغرب
الدائرة للكاتب: ميمون حرش من المغرب
الضفيرة للكاتبة: شيماء أبجاو من المغرب
اللمنة المباركة للكاتبة: سهام البهجة من المغرب
بوابة الجحيم للكاتب: أبو بكر الهاشمي من اليمن
الوطن الذكي للكاتب: يونس شفيق من المغرب
حين حكت للكاتبة: هاجر عبد العزيز من المملكة العربية السعودية
لساني الفصيح للكاتبة: سعادة الحارثي من الإمارات العربية المتحدة

القصيدة الفصيحة

ما لمْ يَخرجْ منْ جُبّةِ الحلّاج محمد النعمة بيروك-المغرب
بَرَاهِينُ الوَلَهْ أسماء طلعت رمضان المليجي-مصر
نَهْرُ الْمِلْح تمّام حسين طعمة-سوريا

مراتب حازت درجة التنويه

أحلام مغدورة للكاتب: سفيان البراق من المغرب
فنتازيا للكاتبة: بلقيس الكبسي من اليمن
ضجيج الروح للكاتبة: أم الزين بشاتنية من تونس

لجنة التحكيم

الشاعر مولاي الحسن الحسيني
ذ. فاطمة بولحوش
ذ. زهرة أمهو
ذ. عمر لوريكي
ذ. رندلى منصور

بدعم من المديرية الجهوية لقطاع الثقافة بسوس ماسة

الإيداع القانوني:
2021MO3543

ISBN :
978-9920-566-07-0

Bloc A6 N°107 Cité El Qods Agadir
الهاتف 05 28 23 70 36/ 06 61 57 18 29
agadirservices150@gmail.com

المطبعة Agadir Services

المملكة المغربية
وزارة الثقافة والشباب والرياضة
قطاع الثقافة
المديرية الجهوية سوس ماسة
المركز الوطني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
Cnades
Centre National de Développement Economique, social et Culturel
مركز سوس ماسة للتنمية الثقافية
SMD Culture
-مراحل المسابقة-
المرحلة النهائية
غشت 2021
القائمة القصيرة الممتازة
غشت 2021
القائمة الطويلة
يونيو 2021
المرحلة ما قبل النهائية
يونيو 2021
المرحلة التمهيدية
فبراير 2021
سفراء الأدب، الدورة الأولى 2021
المشرف على المسابقة: أ/ عمر لوريكي

المملكة المغربية
وزارة الثقافة والشباب والرياضة
قطاع الثقافة
المديرية الجهوية سوس ماسة
المركز الوطني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
Cnades
Centre National de Développement Economique, social et Culturel
مركز سوس ماسة للتنمية الثقافية
SMD Culture
سفراء الأدب، الدورة الأولى 2021
27 مشاركة في صنف أفضل قصيدة فصيحة
30 مشاركة في صنف أفضل قصة قصيرة
المرحلة الأخيرة ما قبل النهائية:
-قبل انتقاء القوائم-
21 مشاركة في صنف أفضل قصيدة فصيحة
36 مشاركة في صنف أفضل قصة قصيرة
المجموعة الأولى
المجموعة الثانية

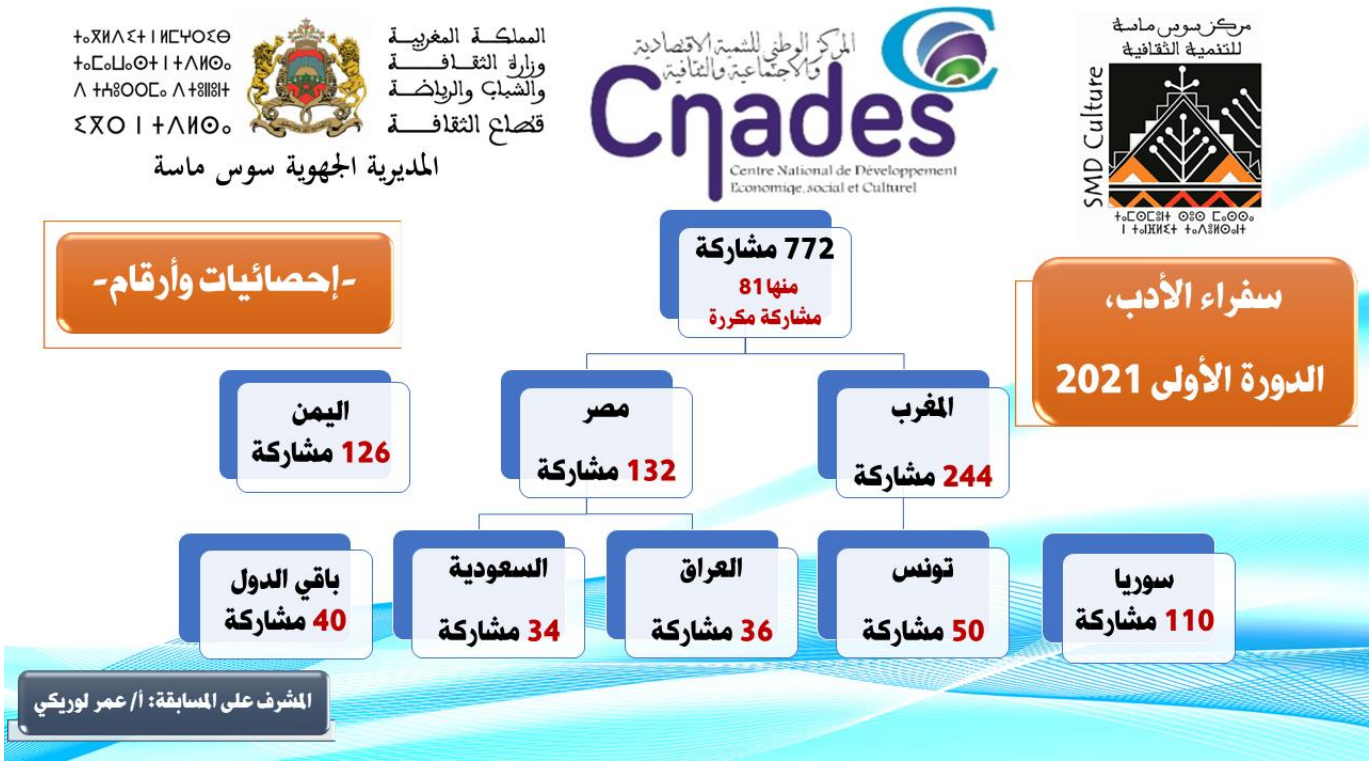
المملكة المغربية
وزارة الثقافة والشباب والرياضة
قطاع الثقافة
المديرية الجهوية سوس ماسة
المركز الوطني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
Cnades
Centre National de Développement Economique, social et Culturel
مركز سوس ماسة للتنمية الثقافية
SMD Culture
سفراء الأدب،
الدورة الأولى 2021
-إحصائيات وأرقام-
772 مشاركة
منها81
مشاركة مكررة
المغرب
244 مشاركة
مصر
132 مشاركة
اليمن
126 مشاركة
سوريا
110 مشاركة
تونس
50 مشاركة
العراق
36 مشاركة
السعودية
34 مشاركة
باقي الدول
40 مشاركة
المشرف على المسابقة: أ/ عمر لوريكي

شكروتقدير

يسعد المركز الوطني للتنمية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية أن يتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاح مسابقة سفراء الأدب في دورتها الأولى 2021، ونخص بالذكر:

- المديرية الجهوية لقطاع الثقافة بسوس ماسة، وزارة الثقافة والشباب والرياضة؛
- رئيسة المركز الوطني للتنمية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الدكتورة مليكة ألحيان؛
- مركز سوس ماسة للتنمية الثقافية؛
- أعضاء لجنة التحكيم وهم:
- الشاعر مولاي الحسن الحسيني؛
- الدكتورة فاطمة بولحوش؛
- الأستاذة زهرة أمهو؛
- الأستاذة رندلى منصور؛
- الأستاذ عمر لوريكي؛
- الأستاذ إبراهيم أوحسين على التقديم المتميز؛
- الإذاعة الجهوية بأكادير؛
- جميع المنابر والجرائد التي دعمت المركز في نشر إعلانات المسابقة؛

تمهيد

وبخصوص المشاركات غير المنتقاة فقد شددت لجنة القراءة والتفحص على ضرورة احترام المعايير الفنية واللغوية النحوية لسلامة النصوص و"قواعد العروض" بالنسبة للقصائد، حيث تم إلغاء المشاركات المتضمنة على عدة أخطاء إملائية من قبيل:

- ✓ ورود همزة القطع في الأفعال الخماسية والسداسية ومصادرهما.
- ✓ إغفال كتابة همزة القطع في مواضعها.
- ✓ عدم الانتباه لمواضع الهمزة المتطرفة والمتوسطة.
- ✓ عدم الانتباه للفرق بين الثاء والتاء والذال والدال والظاء والضاد.
- ✓ عدم احترام علامات الترقيم.
- ✓ خلو العناوين من التشويق ودلالات النص و أبعاده الإبداعية.

وعدة جوانب أخرى.

وبعد إجراء المداولات الأخيرة تم تقييم النتائج النهائية على الشكل كالتالي:

لجنة التحكيم عناوين القصص	زهرة أماهو	عمر لوريكي	رندلى منصور	فاطمة بولحوش	المجموع
ضجيج الروح	13/20	10/20	10.75/20	8/20	41
إلى بعيد	13/20	19/20	17.25/20	7/20	56.25
الوطن الذي...	09/20	13/20	15/20	14/20	51
اللعنة المباركة	11/20	13/20	16.25/20	14/20	54.25

الضفيرة	14/20	10/20	16.25/20	15/20	55.25
الدائرة	16/20	11/20	18/20	10/20	55
أحلام مغدورة	10/20	11/20	13.25/20	10/20	44.25
بو ابة الجحيم	08/20	17/20	15.25/20	13/20	53.25
لساني الفصيح	12/20	12/20	13/20	9/20	46
فنتازيا	10/20	10/20	15.75/20	8/20	43.75
عمود إنارة ثمل	11/20	11/20	17/20	16.5/20	55.5
حين حكت	15/20	12/20	13.5/20	10/20	50.5
حبل الدهر المفتول	14/20	13/20	17.25/20	16.5/20	60.75

النتائج النهائية:

بعد التوصل بتقييم جميع أعضاء لجنة التحكيم أفرزت النتائج النهائية ما يلي:

صنف أفضل قصيدة فصيحة:

رئيس اللجنة: الشاعر مولاي الحسن الحسيني؛

- **المرتبة الأولى مناصفة بين:**

الشاعر **محمد النعمة بيروك** من المغرب عن قصيدته: **ما لمْ يَخرجْ مْنْ جُبّةِ الحلّاج؛**

والشاعرة: **أسماء طلعت رمضان محمد المليجي عن قصيدتها براهين الوله؛**

- **المرتبة الثانية:**

الشاعر تمام حسين طعمة من سوريا عن قصيدته: نَهْرُ الْمِلْحِ.

صنف أفضل قصة قصيرة:

الفائزة بالمرتبة الأولى:

قصة: "حبل الدهر المفتول" للكاتبة: حفصة أسرايدي من المغرب، حيث حصلت على 60.75 من 80 أي 15.18/20

باقي المراتب:

المرتبة الثانية: قصة: "إلى بعيد" للكاتب: أحمد محمد الطيب من مصر، حصلت على 56.25 من 80؛

المرتبة الثالثة: قصة: "عمود إنارة ثمل" للكاتب: عبد الجليل ولد حموية من المغرب، وحصلت على 55.5 من 80؛

المرتبة الرابعة: قصة الدائرة لِلكاتب: ميمون حِرش من المغرب، وحصلت على 55 نقطة من 80؛

المرتبة الخامسة: قصة الضفيرة للكاتبة: شيماء أبجاو من المغرب، وحصلت على 55.25 نقطة من 80؛

المرتبة السادسة: قصة اللعنة المباركة للكاتبة: سهام البهجة من المغرب، وحصلت على 54.25 نقطة من 80؛

المرتبة السابعة: قصة بوابة الجحيم للكاتب: أبوبكر الهاشمي من اليمن، وحصلت على 53.25 نقطة من 80؛

المرتبة الثامنة: قصة الوطن الذي للكاتب: يونس شفيق من المغرب، وحصلت على 51 نقطة من 80؛

المرتبة التاسعة: قصة حين حكت لِلكاتبة: هاجر عبد العزيز من المملكة العربية السعودية، وحصلت على 50.5 نقطة من 80؛

المرتبة العاشرة: قصة لساني الفصيح لِلكاتبة: سعادة الحارثي من الإمارات العربية المتحدة، وحصلت على 46 نقطة من 80؛

مراتب حازت درجة التنويه:

المرتبة رقم 11: قصة أحلام مغدورة لِلكاتب: سُفيان البرّاق من المغرب، وحصلت على 44.25 نقطة من 80؛

المرتبة رقم 12: قصة فنتازيا للكاتبة: بلقيس الكبسي من اليمن، وحصلت على 43.75 نقطة من80؛

المرتبة رقم 13: قصة ضجيج الروح للكاتبة: أمّ الزّين بشاتنيَّة من تونس، وحصلت على 41 نقطة من 80.

على مرافئ الكتاب...

ذ. إبراهيم أوحسين-المغرب

كأن الأدبَ قد أَزِفَ وقته من جديد أن يصـــدح بقول سُـحَيْمِ بن وَثيل : " أنا ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنايا "، متحررا من حاجته لأن يضع عِمامته ليظهر سافراً للعيان، واضحا للأسماع خاليا من كل نشاز. ولست بهذا الزّعم أعني أن الأدب، شـــعراً ونثراً، كُفِّنَ روحاً وجســـداً فاحتاج نفخةَ إنعاشٍ وإحياءٍ، إنما القصـــد أنه_ بتعبير تولستوي_ كالذي خرج من الظّلام بعد طولِ مُكوثٍ يخشى صدمة النور الأولى، بيد أن بصره يتقوّى رويدا رويدا. فعلى هذا المعنى أبسُـطُ القول_ بما يرتبط بهذا الكتاب رأســا_ في ســاحتي القصــة والشــعر كلتيهما، معتبرا إياهما بلا حدود وحواجز فاصـلة تجعل من ذينك الجنسـين الأدبيين جزيرتين منفصـلتين، والأصل أنهما مما يَخطُّ به القلمُ كوامنَ النفس الإنسانية وشواغلها، فتبدو حرفا على ورق، ليتبدّد كل سرّ محفوظ وخبر مخفيّ أمام هذا القارئ أو ذاك؛ وإنما الأديب مَنْ فشـــل في الاحتفاظ بما يملأ جوفه من صراع وتقلّب واضطراب...

حين بلغتني مســوّدة هذا الكتاب، حاملا عنوان " ســفراء الأدب "، تأملتُ أوّلَ ما تأمّلت في كلمة الســفير، مسـتحضـرا جسـامة مسـؤولية هذا الأخير وما تنوء به كتفاه من أثقال وأوهاق، بل يكفي من ثِقَل وظيفته الأولى الإصــلاحُ بين النـاس، وحملُ الرســائل والآراء بينهم، قبـل أن ينتقـل وظيفـةً ومُعجمـاً إلى المجـال الديبلوماسـي الصِّـرف؛ لكن... أن تحمل صـفة «سـفير الأدب " دفعة واحدة فأمرٌ _ في الظّنّ _ دونه أبصـارٌ تَعْشـى و أثواب تَبْلى و أعمارٌ تَفْنى، ولعلّها أعظم صـفة تُحمل وأنفَسُ طَيْلَسـانٍ يُرتدى ويُتوَشَّـح. فإذا كان

الأديب إنسانا غير الإنسان الذي يذْرَعُ الطُّرقات جيئةً وذهاباً، فسفير الأدب إنسانٌ فوق الإنسان _ بتغييب المنظور النتشوي _ ، فهو ناقلٌ بأمانة كينونته وثقافته وهويّته ولغته وأدبه في آخر المطاف، فأي ظهرٍ يقوى على تلكم الأحمال كلّها ؟ وأيُّ ساعدٍ تستطيعُ صبراً وجَلَداً على زحزحة جبالٍ راسياتٍ؟ وكأن شاعر الشام نزار قباني _ الجامعُ بين سفارتي الدولة والأدب _ قد انقدحت في بصيرته هذه المعاني حين أنشد متسائلا في دمشقيته المعروفة :

ولو فَتَحتُم شراييني بمِدْيَتِكُم // سمِعْتُمُ في دمي أصواتَ مَن راحُوا

حَمَلْتُ شِعري على ظَهري فأتعبني // ماذا مِن الشِّعرِ يبقى حينَ يرتاحُ؟

فسفير الأدب هو ذاك إذن أو أعظم، والحديث أعلاه أُذَكِّرُ به نفسي أوّلاً قبل أن أبعثَ به_ على هيئته هاته_ إلى من ينبغي أن يكونوا سفراء الأدب في الغد القريب وطنيّا وقطريّا.

قرأتُ هاتين الإضْمامتينِ القصصية والشعرية حقيقةً قراءةَ قارئٍ مُلاحظٍ عادي، لا قراءةَ ناقدٍ مُحكّمٍ مدقّق، فللتحكيم والنقد أهلٌ وأصحابُ دراية، ولفضيلتهم القولُ الفيصلُ في تتويج المتنافسين على قصب السّبق، وما أعظمها مسؤوليةً تحملّوها وأمانةً تجشّموا أعباءها! لهم الله ابتداء ولله درُّهم ختاما. ولأن قراءتي لا ينبغي لها أن تحمل حكما تفاضليا بين النصوص المشاركة فإنني مقتصر على إيراد إلماعات شاملة وسريعة بدت لي وأنا أتجوّل بين أسطر القصص وأبيات القصائد.

لم تعد الأذهان والمُهج غارقة في أحلام ورديّة، مشيّدة مدنها الفاضلة في كل ركن من هذه البسيطة، ولم تعد الخواطر تجنح لظلال الرومنسية الوارفة، حتى ما باتت تتأثر بدلال حبيبٍ أو بدمع سحاب أو اختيال ربيعٍ ... وكأنها حقا تخلّت عن مساحات متعاظمة من مملكة الجمال؛ فصارت أكثر الأقلام _ في النثر الفني_

بالنتيجة منشغلة بواقع الإنسان المباشر، مقتربة من تفاصيل حياته، نافذة إلى أعماقها وبواطنها، خاصة ماينـدرج ضمن قضايا العدالة الاجتماعية والعنف والحرب والحرية، وكل ما ترتفع به الحناجر من مطالب مادية ومعنوية في المعمور بأسـره؛ ولعل القارئ الكريم لن يُداخِله شـك فيما ذهبنا إليه لو اطلع على المتن القصصي تحديدا، مستنطقا قصة "اللعنة المباركة " و "صرخة يتيم "و " إلى بعيد" و " أحلام مغدورة" و " بوابة الجحيم" و " عمود إنارة ثمل" وغيرها، وكأنه أمام كُتّاب قصـة من المدرسـة الواقعية، الواقعية الطبيعية ترجيحا. أما ما تعلّق بصـنعة الشـعر، فلازالت جلاميد الصـخر تحطُّها السّـيولُ من علٍ، ولازال عنترُ يقبّل السـيوف اللامعة كبارقِ الثّغر المتبسّـم؛ باختصـار،لم يبرح أغلب أقلام وأصـوات هذا المتن الشـعري الماثل بين أيدينا قيسـيّات وعنتريات الماضـي، فظلّ حبيس الخطابة تارة و الغزل والنسـيب تارة أخرى، وكأن القصيدة، في شكلها التقليدي خاصة، لا يصلح أن تَصْدر إلا عن موضوعين أو ثلاثة. ولا أقول هذا مُنتقصـا من قيمة تلكم الأغراض الشـعرية، إذ من حق الشـاعر التعبير عمّا يحرّك النفس حُرّاً غير مقيّد،أوليس الشّـعر نوعا من عِلم سـياسـة النفس كما زعم الرّافعيّ؟ ولكن قراءتي المتواضـعة للقصـائد جعلتني أنحو هذا النّحو من الحكم، مع الإشارة إلى استثناءات كتَب أصحابها في الأغراض الأخرى المعروفة. هذا من حيث الموضـوع وسـياق المعنى، أما من حيث المبنى والجانب اللغوي للمتنين القصـصـي والشـعري، فإنّي مُنبّهٌ "سـفراءنا" إلى الاحتكاك باللغة العربية وبقوامها، وما قوامها سـوى ما بُنيت عليه من قواعد ثابتة وشـروط لازمة،وقديما قال ابن خلدون في مقدمته :" صـناعةُ العربية إنما هي معرفة قوانين هذه المَلَكة ومقاييسـها خاصّة"، أما التوليفات المتغيرة من بيان وبديع وبلاغة، فدمجها في المُنتج الأدبي _ السليم لغويا_ متروك للأدباء وقدرتهم على حسـن انتقاء اللفظ و تقوية الأسـلوب و تجويد العبارة حتى يبلغ النصّ كماله في اللذة والدهشـة، و في هذا المَهْيَعِ تَفاضَـل الأدباء والشـعراء مُذْ عرفت الإنسـانية الأدب، حتى استُحدثت

الطبقيّة مع ابن سلاّم الجُمَحِيّ في سِفْره المعروف " طبقات فحول الشعراء ". أما شيخ البصرة أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) فقد علّمنا أن " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي ،وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتمييز اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج ،وفي صحة الطّبع ، وجودة السّبك ،فإنما الشّعر صناعة وضرب من الصيغ ، وجنس من التصوير...". هكذا يختصر الشيخ الإشكال مؤكدا على جودة تشييد وبناء معمار النص الشعري، والأمر سارٍ على النص النثري سواء بسواء. فإذا انسلكت هذه المسكوكة الجاحظية في ذهن القاص أو الشاعر، مستحضرا إياها قبل خَطِّ أوّل حرف من قصّة أو قصيدة؛ كانت له علامةً طريقٍ تعصمه من مصارعة طواحين الهواء ومغالبة بياض الورق، كي لا ينجب عملا خديجا مُهَلْهَلاً يُقال فيه للأسف: هذا حَشَفٌ مُضافٌ إلى سوءِ كِيلة!!

إن الباعثَ على هذا الحديث في الحقيقة سببان: أوّلهما ما صادفته من كسور وهَناتٍ لغوية (نحوية وصرفية) في القصة والقصيدة كلتيهما، إضافة إلى ابتذالٍ في الصناعة والتركيب، وتنافر بين اللفظ وبين المعنى، مما جعل بعض النصوص شعرا ونثرا كأنها بنيان مائل يوشك على السقوط، فاقدةً ما تقتضيه قوة السّبك من تماسك في العبارة وانسجام بين مراحل البناء(التقديم/ التفصيل/ النهاية)، فالقصة ليست شخصيات وأحداثا وحبكة فقط، كما أن القصيدة ليست تتاليَ متحركات وسواكن مختومة بقافية، هما إلهامٌ ونسجٌ مُحكم . ثانيهما دعوة " سفرائنا " إلى الاشتباك ما أمكنهم ذلك مع تجارب نثرية أو شعرية متنوعة، قديمة وحديثة، عربية وغربية، مع توجيه عنايتهم إلى الغَرْفِ من أنماط الكتابة كلّها دون التركيز على نمط فَرْدٍ، فإذا كانت الكتابة المُتخصّصة مستساغة مقبولةً في يوم الناس هذا، ففي ظني المتواضع إن الأديب مدعوٌّ فرضاً لا نَفْلاً إلى قراءة كل تقع عليه عيناه من المعرفة الإنسانية، كالنهر يسترفِدُ من جداول متفرّقة ومسيلات متشعّبة، فتجد ماءه المجتمِع يجري مترقرِقاً صافيا، والقصد بادٍ دون مزيدِ بسطٍ.

إن قولي أعلاه لا ينبغي أن يُقرأ تقريعا أو قسوةً على سفرائنا الكرام، كما لا ينبغي من جهتي أن أضعه في صُرّةٍ وأغلق عليه مخافة إغضاب أحد أو إحراجه، ولكن لابد مما ليس منه بُدٌّ، فنحن في زمن نَروزُ فيه جودة عمل بمقدار عدد "الإعجابات" المحصودة في المواقع الإلكترونية المعروفة، وبعدد المُصفّقين والمُهلّلين والمادحين، ولقد استمرّ هذا واستفحل حتى ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب، وضعُفت اللغة وأهلُها، واستُسهل الإبداع الأدبي في كل زمان ومكان، ولله درّ الشاعر متأسفاً:

هذا الزمانُ الذي كنّا نُحاذره

في قولِ كعبٍ وفي قولِ ابنِ مَسْعودِ

إنْ دامَ هذا ولم يحدُثْ لهُ غِيَرٍ

لمْ يُبْكَ مَيْتٌ ولمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ

ليعتبر إخواني وأخواتي من المتنافسين قولي عتابَ أبٍ أو أمٍّ حانية على وليدها الصغير، فإنما الغرض الأسمى تقويةُ الأدب الشبابيّ وجعله على أرض صلبة آخذا مساره الصحيح، دون الاغترار بالظهور المُتعَجِّل واستباق نجاحات وهمية لا تزيد الأديبَ إلا ألقابا فارغة وأوسمةً بلا مجد. ورغم هذا العتاب كله، فإن حزمة القصص والقصائد أبانت عن قدرة بعض الأدباء الناشئين على الكتابة والتخييل وبناء نصوص رائعة وماتعة، ولعلهم من يحملون مشاعل الأدب غدا أو بع غد.

إني شـــاكرٌ في مُختتم كلمتي هاته كلّ القائمين على هذه المنافســـة الأدبية، قاصـــدا طاقم المركز الوطني للتنمية الاقتصـــادية والاجتماعية دعوتهم تقديم هذا الكتاب في شـخص الفاضـــلين عمر لوريكي ومليكة ألحيـان، متمنيـا ألاّ أكون ثقيـل الظل والحرف على السّـــواء، كمـا أهنئ غيبـاً أولئكم الفـائزين بـالمراتـب المتقدّمة، وإن كان كل متنافس فائزا، فيكفيه أنه بلغ مرحلة الصـدارة هذه، وكان في صـفوة الصـفوة، واللهَ أسأل التوفيق للجميع.

الخامس عشر من يونيو/ حزيران 2021

قصبة الطاهر(أيت ملول)-المغرب

القائمة القصيرة الممتازة

صنف أفضل قصة قصيرة

حبل الدهر المفتول

حفصة اسرايدي- المغرب

غادر الدكان واجما وغمامة من الحزن قد طوحت به، يجر كيانه المتشـــظي خلفه، يحدج كل من حوله بنظرة قاســـية، يمشـــي الهوينا غير آبه بأرتال الســـيارات وضـــجيج المارة، كان يرتدي معطفا باليا خلف به الزمن ثقوبا بعدد خيباته وسروالا نخرته الأيام، كان ذو لحية كثيفة وشعر محفوف يجعل قفاه عاريا، كلما لحفته نسمة ارتعشت فرائصه. ابتاع حبلا سميكا لتثبيت السقف القصديري "للبراكة" ملبيا طلب العجوز الذي أعطاه ركنا في تلك العلبة المعدنية مقابل بضـــع ألفات، يعبر الشـــارع شـــاردا، يفكر كيف يتفادى صـفعات العجوز المدوية على خد كبريائه، وعويله المسـتمر حول الايجار الذي يتقاعس عن دفعه لاسـيما وأن سي العربي معروف بقسوته وجلافته التي تهيج رواكد النفس.

قاطع تسـرب حبل أفكاره، إدراكه لوصـوله أمام باب الجامعة التي تخرج منها دكتورا في الأدب العربي بدرجة مشـرفة جدا، وقف متصـلبا لبرهة يتأمل اللافتة الضـخمة التي أمامه، انفلتت ابتسـامة سـاخرة من ثغره يعلوها كم كبير من الأســى، أشـــاح بوجهه ومضـــى في طريقه يحكم قبضـــته على الحبل متمســـحا بجدار ذكرياته، تابع ســـيره، فانبجســـت من عمق ذاكرته ذكرى مروره من نفس المطرح قبل خمس ســـنوات وهو يتأبط شـهادته بزهو وفرح وعينان غبشـهما التأثر بلوعة الانتصـار وهو على يقين بأن المسـتقبل قد رمى له أخيرا حبل النجاة.

اسـتوقفه مجددا منظر كومة بشـرية بنفوس صـدئة، هجير مشـتعل بلهيب اللظى، هنا تذكر أن الدهر فتل له حبل مشـــنقة بدل حبل نجاة حينما لمح آلافا من حملة الشـــواهد العاطلين يفترشـــون الثرى أمام باب البرلمان، راوده مشـهد يحمله في دخيلته عن لحظة افتراشـه هو الآخر لشـهادته، تأمل تلك الوجوه المكفهرة فأدرك أن الباب الضخم لازال لا يتسع لمطالب العامة بقدر اتساعه لأكياس الحلوى وبطون آكليها.

رمت الغيوم بأسـهمها واشـتد المطر فقفل عائدا نحو سـي العربي، لمح الانجازات الضـخمة وهي تسـبح في الأوحال عارية بدون حياء غير خائفة من شـــرطة الآداب، تســـارعت خطواته، وهو مدرك للحفاوة البالغة التي سيستقبله بها بعد أن تحولت "البراكة" الى بركة.

وصـل أخيرا إلى "الكاريان" فاسـتقبلته بائعة اللبن، قائلة: " لقد تأخرت كثيرا و سـي العربي لا يملك معطفا يحول بينه و بين لفحات هذا البرد القارص، لم أكن أملك غير ثوب أحمر قد أعطاني إياه المقدم السـنة الفارطة و أمرني بتثبيته على العربة في فترة الانتخابات، أسـرع، أنا أعرف سـي العربي جيدا، لن يجعل هذا اليوم يمر على خير "، أومأ برأسـه لها و ركض نحو "البراكة"، اسـتوقفه صـوت آلة هدم، لم يسـتوعب ما يحدث فلم يعر الأمر اهتماما، أزاح الصـفيحة المعدنية و دخل، وجد الحلكة تبتلع المكان، أوقد عود ثقاب و جعله يلتحم مع فتيل الشـمعة، فوجد سي العربي بوجه سـاكن، ألقى بثقل سـنواته السـبعين على الثوب الأحمر الذي شـده على عنقه و ثبت طرفه الآخر على الجزء المتبقي من السـقف جاعلا من قدميه تتدلى بين مسيرة قرن إلا ربع و آخر شهقة في صدره، هكذا انتهت حياته بين قرار هدم و جسد معلق بفم فاغر.

رمى الشـمعة من يده وهلع نحو الجثة المتصـلبة، فأضـرمت النار في كل ركن من الغرفة، لم يرض أن يترك سي العربي يصارع النيران وحده، عانق القدمين المتدليتين ولم يبرح مكانه.

في صـباح اليوم الموالي، اسـتفتحت الصـفحات الأولى من الجرائد بعنوانين رئيسـيين: الأول،" نشـوب حريق مهول، ووصـول سـيارة الاطفاء بعد سـاعة دون أن تملأ صـهريجها بالماء " والثاني: " مدمن يقتل عجوزا خنقا ويضرم النار في نفسه ".

إلى بعيد

أحمد محمد الطيب- مصر

شد المقبض النحاسي لبوابة البيت، ثم أزاحها للداخل ليتأكد من إغلاقها، وقف على عتبة البيت، نظر إلى الأفق الملون بضوءٍ صباحي شفاف، جذب "مؤمن" نفساً عميقاً، ملأ رئتيه بالهواء، بدا وجهه أكثر سعادةً، خطا بضع خطوات، وقف أسفل سياج التوت المصفوف أمام المنزل، شادًّا قامته، ناظراً إلى أعلى، حيث أوراق التوت الزاهية.

كعادته كل يوم، مد يده في جيب سرواله القطني، أخرج حفنات من القمح، وضعها في كفيه، وقف جامداً مثل تمثال، لم تمرّ سوى دقائق، حتى انحدرت العصافير الرمادية من فوق أشجار التوت مرفرفةً حوله، أحس بسعادة، وهو يستشعر هزات الأجنحة بجوار جسده، ودقدقة العصافير، وهي تلتقط حبات القمح، يحرك أنامله ببطء متلمساً الريش الناعم الصغير، حين أنهت العصافير القمح، ضحك عاليا، أعاد يديه إلى جيب سرواله، أكمل سيره، يهز رأسه المستندة على رقبته النحيفة. كانت الشمس لا تزال بعيدة، ذات أشعة باردة وقد بدت في السماء كأنها صورة منعكسة على سطح الماء، لم يسر كثيرا حتى وقف أمام أحد المنازل، نظر إلى الشرفة البيضاء في الطابق العلوي، يعلم جيداً أن من يبحث عنها لن يجدها الآن، لكن رغم ذلك رفع يده ملوحاً، تأمل شجرات الورد التي زرعها أمام بيتها، البراعم منتشرة فوق الفروع، وبعض الورود الصغيرة نضجت بألوان حمراء وبيضاء، تنشر رائحتها الجميلة، أغمض عينيه وهو يقبل إحدى الورود، استدار ويده مازالت مرفوعة تلوّح، يسير مع انحناءات الطريق، متأملاً الأشجار الكثيرة على جانبي الطريق وأمام منازل القرية.

يتذكر مع كل شجرة اليوم الذي غرس فرعها الجاف، وأيامه الطويلة التي كان يعتني فيها بهذه الفروع، كل أشجار القرية يعتني بها، ويزرع منها الكثير، حتى أصبحت الشوارع حديقة كبيرة، يشعر هو أنه صاحبها. وقف أمام نفس النخلة ــ النخلة العتيقة ــ كل يوم يتأملها، النخلة الوحيدة التي لم يستطع أحد صعودها من قبل، شد بصره إلى أعلى، تراءت له طيور صغيرة ترفرف حول سعفها العالي، فكر أن هذه طيور من نوع خاص، طيور لا تهبط إلى الأرض، طيور تحلق في السماء، وتأكل من السحب البيضاء العالية،

تمنى كثيراً أن يصعد هذه النخلة، لكن النخلة طويلة وعنيدة، وساقها منحوت ونحيل، تتمايل حين يحاول أحد صعودها، ترك النخلة العتيقة، عاود المشي حتى وصل إلى جرف النهر، تراءى الشراع الأبيض الكبير لمركب البضائع، هرول، كان الرجال قد بدوءا العمل، اقترب "مؤمن" من رئيس العمال، الذي بدا غاضباً. لولا أمك المريضة.

قال رئيس العمال ذلك ضاغطاً فكيه، يتأمل "مؤمن" الذي بالكاد يحمل صناديق البضائع، يوشك أن يتعثر بها، كان الوقت يمر ببطء شديد، والعمال يغنون بصوت مرتفع، والشمس في السماء أصبحت ساخنة. حين مضت ساعات العمل، وقف في صف العمال، يخبط بقدمه اليسرى، مستعجلاً الوقت، قبل أن يمد يده ليقبض اليومية، أشار إليه رئيس العمال ألا يتأخر مرة أخرى.

عند عودته، رآها من بعيد، بملابسها الأنيقة، وشعرها البني المُسْدَل فوق كتفيها، سار ببطء، وجهه تعلوه ابتسامة تملا كل قسماته، قطف نفس الوردة البيضاء، التي قبّلها في الصباح، رَبَتَ بأطراف أنامله فوق كتفها، ابتسمتْ حين وجدته هو، واقفاً بابتسامته البريئة كابتسامة الأطفال، مادًّا يده بوردة، أخذتها ثم وقفتْ تتأمله، وقد بدا منبهراً كأنه يراها للمرة الأولى، مد يده في جيب قميصه، أخرج ورقة صغيرة، قدمها إليها، وهو لا يكف عن إشاراته السريعة المتلاحقة، تأملت الصورة التي رسمها لطفلة صغيرة تجلس بجوار النهر.

لو كنت تتكلم؟ تردد بصوت خفيض...رغم أنها تدرك أنه لن يسمعها.. الفتاة الصغيرة التي في الصورة تشبهها، كل صورة رسمها من قبل تشبهها، صافحته وهي تهرول ناحية أمها، التي خرجت أمام البيت.

حين وصل إلى بيته، كانت أمه مستلقية على الفراش، تهلل وجهها حين رأته، جلس إلى جوارها، حرك يده فوق رأسها، بينما أمه تنظر نظرة حانية بعينين باسمتين. بعد أن تناولا العشاء، جلس على فراشه، أخرج قطعة طباشير، من خلف حامل السرير النحاسي، رسم وجهاً لفتاة، تأمله قليلاً، ثم عاد ومحا أجزاءً منه؛ ليُعيد رسمه، فعل ذلك أكثر من مره، وأمه تنظر إليه، كل يوم يحاول أن يرسم نفس الوجه، وفي النهاية لا يقنع بشيء فيعود ليمحوه، بعد عدة محاولات التفتْ إلى أمه، سألته عن الفتاة التي يحاول أن يرسمها، وضع يده فوق قلبه، ثم تدحرج فوق الوسادة مغمضً عينيه؛ ليغيب في النوم، حملت الأم مصباح الكيروسين، الموضوع فوق رف خشبي، مُثبت بالحائط، أخفتت إضاءته قليلاً، ثم عادت إلى

وضعها، متأملةً ابنها وهو نائم رأسه لأعلى، وفمه مفتوحٌ، مصدراً صفيراً متلاحقاً، فكرت في هذه الابتسامة المرتسمة دائماً على وجهه.

لوقت طويل لم تتحرك عيناها الشاحبتان، انقبض وجهها فجأة، شعرت بثقل يُلقى فوق صدرها، سكنت زامةً شفتيها، حاولت جذب أنفاسها المتعثرة، أحست بالألم يتزايد أكثر من أي يوم، في وهنٍ مالت إلى أسفل، والألم يصرخ عالياً بين أضلعها.

في منتصف هذه الليلة استيقظ "مؤمن" على وكز أصابع أمه، وجدها قد تحول لونها إلى الأصفر الباهت، كانت ترتجف، نهض مذعوراً، نظر في كل اتجاه مُربَكا، جال الحجرة الضيقة، كطفل تائه أخذ يقلب في أشرطة الدواء الكثيرة، المتناثرة فوق منضدة ملتصقة بالسرير، تعثر في إناء الماء الزجاجي، الذي سقط وتهشم فوق الأرض، وقف في يأس، أنفاسه تلاحق بعضها بعضاً. هرول إلى الشارع، شعر بانقباض حين رأى كل شيء مغلفاً بظلامٍ موحش، طرق أبواب الجيران بعنفٍ، مشيراً في ذعر إلى بيته.

مضي وقت طويل، استشعر قسوته، قبل أن ينصرف الجميع قرب الفجر. وقف إلى جوار السرير ينظر إلى أمه، كانت نائمة تقرض أسنانها، وجسدها يرتجف، جلس إلى جوارها، أمسك بيدها، احتضنها بين كفيه، شعر بدفءٍ يتغلغل روحه، أرتكن إلى الخلف يتأملها ساكناً.

طيلة أسبوع ظل جالساً إلى جوارها، يغالبه النوم قليلاً، ويقوم مفزوعاً؛ ليطمئن إلى الجسد المستغرق في النوم والمرض، وإحدى جاراته تأتي من وقت لآخر، تعطيها الدواء، وتلقي نظرة شفقة إلى الابن الذي ينهشه الخوف. ملأ جدران الحجرة برسوم أشجار عالية وعصافير، وأطفال تلعب بينها..

حتى ذلك الصباح، أشارت إليه أمه أن يعود إلى العمل، لم يستطع الحركة إلا حين ألحت عليه، نظر إلى عينيها المعلقتين به، أغمضتهما في إيماءة وابتسامة ذابلة. ترك المنزل، يسير في خطوات ثقيلة وهو شارد، حين رفرفت العصافير حوله، رَكَزَ وجهه إلى الأرض مكملاً طريقه، مرّ أمام المنزل ذو الشرفة البيضاء، نظر إلى أعلي بعينين دامعتين، كان نساء كثيرات يكنسن الأرض، عاود المشي، يزيح قدميه متتابعاً حركتيهما.

حين وصل "مؤمن"، لم يكن عمال حمل البضائع، قد بدوءا العمل، لم يحاول المزاح مع أحد في هذا الصباح، للمرة الأولى لم يشعر بالتعب مثل كل يوم، لم يتوقف عن العمل لحظة واحدة، يكاد ألا

يلتقط أنفاســه، يهرول ليضــع ما يحمل، ويذهب ليأخذ غيره، ناظراً إلى الصــناديق الكثيرة المُكَوَّمة بجوار الشاطئ، يتمنى أن تنتهي سريعاً.

في عودته قرب المنزل ذو الشــرفة البيضــاء، لاحظ حركة كثيرة لرجال غرباء، حين لم يجدها واقفة، عاود المشــي مســارعا، وصــورة أمه تداعب خياله، أزاح باب البيت، خطى نحو الحجرة حيث ترقد أمه، وجدها ساكنة بعينينٍ مفتوحتينٍ، وجسدٍ باردٍ، اقترب منها، حركها برفق، لكنها ظلت ساكنة، أصدر صرخة رعب، صــرخة أخافت الأطفال المرســومين على الحائط، جلس إلى جوارها يبكي متشــنجاً دون أن يشــعر بشــيء، والدموع تنحدر من عينيه حارة غزيرة. حين أفاق كانت الدار مليئة بنساء متشحات سواداً، وقف مشدوهاً، شــعر بأنه غريب عن البيت، انحنى على وجنة أمه قبلها، أحكم الغطاء حولها، مثلما يفعل حين يتركها نائمة، ثم استدار، وهو يصدر ضحكة هيسترية ممزقة. ترك البيت، تكاد قدماه تتعثران وهو يخطو.

أمام منزل الشــرفة البيضــاء، كان زحاماً شــديداً، وأضــواء بارقة تضــئ وتطفئ في وهج متوحد، اخترق الصــفوف، وقف لبرهة، رأى فتاته، التي كان يزرع لها شــوارع القرية بالورد والأشجار، في رداء أبيض زاهٍ، ورجلاً غريباً في ملابس سوداء، ممسكاً بيدها، جلس بجوار قدميها، أخرج صورة من جيبه، صورة امرأة عجوز حزينة، حين لم تمد يدها لتأخذ الصــورة، نظر إلى عينيها، رأت الدموع في عينيه، كادت تمد يدها لتمسح دموعه، لكن أيدٍ كثيرة كانت تسحبه إلى الخارج، وهو يبدو ملتصقاً بالأرض، حين أصبح بعيداً شعر بأن كل شيء يدور، أحس أنه وحيداً في هذه الأرض، خطى مهرولاً، وصل إلى النخلة العتيقة، نظر إلى قمتها العالية، كان قرص الشمس يرقد إلى جوارها في رداء الشفق، احتضن النخلة، ظل يصعد ممسكاً بجزعها النحيف الناعم، يتمايل مع انحناءات النخلة، وهو يبتعد ويبتعد، حتى وصــل إلى قمة ســاقها، نظر إلى القرية من أعلى، كانت بعيدة بمنازلها القديمة، وشوارعها الخضراء، ظل متشبثاً بالنخلة، حتى حين كانت تتمايل بعنف، سكن مكانه فوق النخلة العالية، وسط الطيور التي لا تهبط إلى الأرض، تطير في السماء، وتأكل من السحاب الأبيض البعيد. شعر بأجزائه تتراخى، وسكينة قد غلفت روحه.

حين انزلقت قدماه، وسقط من أعلى النخلة، أغمض عينيه، محتفظا بابتسامة مرسومة فوق وجهه، يرى وجه أمه يبتسم خلف جفنيه، وصورة قديمة قد رسمها، صورة طفلة صغيرة تجلس بجوار النهر.

عمود إنارة ثمل

عبد الجليل ولد حموية -المغرب

جاءت في الأثر غير المحكي قصة أحد السلف غير الصالح، ضعيفة السند وصحيحة المتن، تخشى روايتها العجائز ويتأفف عنها الرواة وباعي الحكايات وصانعي الأساطير. الأثر المخفي بين صفحات التاريخ الرسمي كي لا تطاله يد حمراء متسخة بأقوال الثوار والانسانيين الملعونين وينتشر بين السواد ويثير فتنة او يوقظ، والعياذ بالله، ضميرا نائما في كهف مهجور يدعى "المواطن"، الأثر المكتوب بحبر يشبه القيح السائل من جرح غائر كاد ان يسمى "الوطن"، فكان وثنا مقدسا يلتهم القرابين (المواطنين)، ويفرض نفسه دينا وحيدا لا شريك له في استعباد الناس. قيل ان أحد الحكام العظماء ذوي الاعين المتعددة والصلاحيات المنفردة، والأساطير المتجددة، حفيد العظماء، من نسب الشرفاء، الزكية دماؤه والعطرة كلماته، المباركة خطوته والمقبولة دعواته، شرب من الخمر الذي لم تطله أية الاجتناب حتى كسر قانون الجاذبية، وحتى لا أنعت أنني "ضد" أو ثوري والعياذ بالله من الثورة على الاستبداد، سأقول ان هذا الخمر الذي شربه الحاكم مصنوع من مواد حلال، بل صدرت الفتاوي في جواز شرب الحاكم للخمر كي يشعر بالمواطنين المدمنين، ويزورهم في منطقتهم من التفكير الثمل من باب تفقد أحوال الرعية والاهتمام بمطالبهم.

اعتاد سيد القوم ان يقرع الكأس في حانة راقية وجدت لأمثاله. تبدو من الخارج كإدارة عمومية بسبب السيارات المسجلة باسم الدولة المركونة في المرأب. وكي لا يقول الساقي: "لقد ثملت يا مولاي"، ويشبهه بالسكارى قاطني الجوع والفقر ويجد نفسه ملقيا في ظلمة البطالة بسبب زلة لسان ستحتم على القانون ان يزل أيضا، قال له: "لقد حطمت قوانين الفيزياء يا مولاي". وشبه القيء الذي نزل من معدته كالمطر بسقوط التفاحة على نيوتن، واعتبر كل ذلك لحظة فاصلة في تاريخ البشرية. انبطاح سلمي خير من شموخ خطر، والمحافظة على الفتات خير من المغامرة من أجل رغيف كامل. هكذا تجنب الساقي شرين، شر الزلات التي تقذف بالمرء في غياهب النسيان وبرودة تطبيق القانون الخامل وشر عدم تنبيه مولاه أنه سيفشي أسرار الدولة إذا شرب أكثر وتطاله تهمة التغرير بحاكم ووضع مادة مسكرة في الخمر. بالرغم من انه فعل ذلك مرارا لكن الساقي يضع قطنا في أذنه كي لا توسوس له نفسه يوما بحكيه إلى نفسه أمام المرآة

فيكون ضحية صانع مرايا ثوري، أو يكون مضطرا الى تفعيل فرشاة فان كوخ الحادة للمرة الثانية في التاريخ.

خرج الحاكم من الحانة الفخمة يترنح ترنحًا يليق بسلطانه، تقيأ مرتين تقيؤً يليق بمقامه، سب ولعن الشعب سبابا منظوما على أرقى بحورا الشعر يليق ببيانه، كسب أم لولدها العاصي، كي لا يقول القارئ أنني أتطاول على لسانه، وانني أستغل الحروف التي تخر سجودًا لعظمته في هجائه.

أدخل نفسه بصعوبة الى سيارته، يريد أن يتفقد حال المدينة، كما يدخل ضعيف البصر الخيط في سم ابرة. لم يقوى أحد من الحاشية أن يقول له أنه تجاوز الحد المعقول في الشرب. قاد السيارة كبحار منسي من زمن القراصنة يقود سفينته وسط بحر هائج ويطلق قهقهة بعد شربه برميلا من "الروم". تذهب السيارة ذات اليمين وذات الشمال، يتوهم أنه يسيطر عليها فيضغط على الدواسة أكثر فأكثر، رأسه يترنح أكثر من ترنحها فيبدو له الأمر مجرد أوهام السكر. يتقيأ، يتف، يلعن، يسب، يضغط على بوق السيارة بعنف، ينطق بكلام غير مفهوم، يفتح النافذة، يخرج رأسه، يغلقها على رأسه، يلعنها قبل اغلاقها، يتقيأ مرة أخرى، يلعن، يخرج سيجارة من علبته يحاول اشعالها، تسقط فيلعنها والولاعة والسيارة والقدر، يحاول التقاط الولاعة، فيوقفه عمود إنارة. خرج الحاكم عن الطريق واصطدم به، انفجر كيس الوقاية من خطر الاصطدام، لولاه لفقد ابتسامته وجزء من ملامحه الوسيمة بالنياشين، ومنعت المدينة من الابتسام حداد على أسنانه المباركة التي تضيء غياهب المدينة الى حين تجهيز فم اصطناعي له، بالرغم من انها لا تبتسم أصلا. بدأت السيارة بالصراخ من هول الصدمة. حاول منعها بسلطويته المعتادة التي يستعملها في وجه المواطنين متناسيا ان السيارة صنعها أشخاص تجاوزوا مثلها ممارسات، لو خضعوا لمثل خطابه لما تجاوزت الإنسانية مرحلة الدواب.

تمشق نفسه المترنحة من الكيس المنتفخ والسيارة بعدما كلّ من محاولة إعادة تدوير مفتاحها، قرر مشاهدة اللوحة الجميلة التي رسمها وهو يتناول سيجارة. الجزء الامامي من السيارة يشقه العمود الكهربائي نصفين، تحولت السيارة الى سيارتين مشوهتين. ظن ان العمود الكهربائي خر راكعا لسلطانه: "الجميع يحترمني". أخرجها من فمه كما يخرج جنين برأس ضخم من بطن أمه. أخذ سيجارة من جيبه وأضرم النار فيها وفي نصف شاربه المخزني.

- ملعون الذي وضع هذا العمود في طريقي، وملعون الذي جعل الطريق تلفظني نحو الرصيف، وملعون الذي وضع رصيفا لا ينبهني أنني قادم نحوه. "مبقا حد كيحتارم المخزن".

سرعان ما التف حوله الفضوليون وقاطعوا وعيده بالانتقام من الجميع كي يبرر خطأه، وهل الحاكم يخطئ؟ هؤلاء الفضوليون صناعة يده، هو من حول المدينة الى جيش من الفئران يطاردون الأخبار منتعلين على وجوههم بطاقات كتب فيها عبثا: صحافي، كما يطارد الجرد الجبن العفن. اتصل البعض بالشرطة والبعض الآخر بالإسعاف، ولأنه المعني بالحادثة لا مواطن عادي فقط، حضر الجميع بسرعة الاشتياق. بينما انزوى صديقنا إلى ركن. لنكن صرحاء رغم أنف الحاشية: قيده أحد رجال الشرطة في ركن بعيدا عن الجمع لأنه دخل في نوبة من السب واللعن، فقرروا ابعاده قبل أن يتسلل أحد المعارضين ويأخذ تسجيلا او صورة يهدده بها مستقبلا. أُخذ الحاكم الى المستشفى كي يتم علاجه، وأُخذ الحضور في سيارة شرطة أخرى كأنهم من صدموه. بينما اختفت السيارة الى يوما هذا، ولا أحد لديه الجرأة ان يسأل عن مصيرها في مشهد مكرر الى ما لا نهاية.

في صباح اليوم التالي من الحادثة، كُتب على الجريدة الأكثر شعبية في المدينة عنوان بالخط العريض: عمود إنارة ثمل يصدم الحاكم أثناء قيامه بمهامه الروتينية من تفقد الرعية والاطلاع على أحوال المدينة. وتحته عنوان صغير: رئيس مكتب الكهرباء اقتيد الى المحكمة بسبب وضعه لعمود كهربائي سكير وتبذير أموال الشعب. تلاه خبر كان مضمونه تحري لجنة تقصي الحقائق للبحث حول صفقة تشييد الشارع الذي جرت فيه الحادثة وسبب وجود التواء فيه. وفي خبر آخر اغلاق الحانة الفلانية والحكم على الساقي بالسجن المؤبد لأنه يبيع خمرا يسكر أكثر من اللازم، وهذا غش نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام. وتحول الساقي الأخرس، الذي فقد لسانه بعد الحادثة بسبب مجهول تماما، الى مضرب مثل في سوء الطالع.

لكن الأمر الغريب، بالنسبة للذين يقطنون خارج المدينة غير الفاضلة، هو أن مجموعة مواطنين بينهم صحافيين أصيبوا بالعمى والبكم بسبب عاصفة هبت نفس ليلة حادثة عمود الإنارة الثمل، فقال بعض المجانين أن الحاكم هو السبب في ذلك، نتمنى أن يجدوا دواء يرجعهم عن غيهم في مستشفى الامراض العقلية الذي اقتيدوا اليه. أما العمود الثمل فقد أضرم فيه النار في ساحة عمومية كي لا يتجرأ عمود آخر

على اعتراض سـبيل الحاكم. ورميت نصـي داخل السـنة اللهب ربما يؤول بطريقة غير صـحية وأحرق كما احرق العمود بتهمة "التنوير".

الوطن الذي...

يونس شفيق-المغرب

الجوّ ماطر وبارد جدّا، يُغري بالتّكوّم في زاوية الغرفة والتّدثّر بغطاء صــوفيّ ومشــاهدة التلفاز. وحيدا أفعل ذلك ما دمت لم أجد زوجة بعدُ تشاطرني الفراش، تشعل الحرارة فيه. أبحث عن فلم رومنسيّ، النّوع الذي أتابع بكثرة. كلّ العزّاب يحبّون مشاهدة أفلام الحبّ، من لا يشاهدها في العلن، يستمتع بها في السّرّ.

فتاة جميلة تقرأ أشعارا حزينة. تأثّرت بالمشهد وقرّرت مشاهدة الفلم. الفلم يحكي عن قصّة حبّ مؤثّرة جدا بين شــابين من بلاد العرب، التقيا في بلاد الغرب، في مهرجان أدبيّ عالميّ. تودّدا إلى بعضــهما وتحابّا. ما إن انتهى المهرجان حتى ســاد الحزن في كلّ مكان. لابدّ من الفراق. أشــواق تكوي القلوب. خزّان دَمْع ينهمر. حنين ورغبة في لقاء آخر... معذورون هم العشّاق.

كانت رسائل الفايسبوك وحدها التي تخمد لهيب الشّوق بين الحبيبين، تشفي غليل المسافات. الحدود مغلقة تحول دون لقائهما. كيف اللقاء يا قلبي والعســاكر تضــع الأصــابع على الزّناد تنتظر الأمر لإطلاق النّار؟ ليس هذا فقط، فقد تمادى حكّام بَلَدِ الشّاعرة وأَجْهضوا حبّها حين أعلنوا، في الفلم طبعا، في سابقة تاريخية لم تعرف مثيلتها العرب قديما ولا حديثا، عن منع الزّواج المختلط بالمغاربة، بل جعلوا علماءهم يفتون بتحريمه وتجريمه قطعا، وما من شروط قد تبيحه. تتلقّى الشاعرة الخبر كنيزك هَوَى على رأسها من السّماء. زلزال هذا يعبث بحلمها في الزواج بالشاعر المغربي. تكتب إليه رسالة فايسبوكية عاجلة:

حبيبي؛

اشــتقت إليك كثيرا. لا شــيء يحلو هنا دونك.. لا القراءة لا الكتابة.. لا الحياة.. لا شــيء أبدا. أتعلم آخر الأخبار؟ لقد حرّموا علينا الزّواج بالمغاربة. لقد أصــبحتُ محرّمة عليك يا حبيبي في عُرفهم، في دينهم. إني أختنق هنا، روحي تريد الفرار مني. قلبي ينطّ يترنّح يريد الطّيران إليك. منهارة وعاجزة، أرى حبّي يســرق علنا دون مقاومة تذكر. يتبخّر أمامي دون ردّة فعل تليق بي وبك. يقولون يا حبيبي تزوّجي اليهوديّ والنصــرانيّ والمسيحي والبوذي والذي لا ملّة له، لكن المغربيّ لا وألف لا. سأقول لهم جهرا في أبواق المساجد والكنائس

والمعابد والأسـواق لن أتزوّج غير المغربيّ. أعدموني إن شـئتم واصـلبوني لكن لا تقولوا لي تزوّجي غير المغربيّ. لن أرضى عن غيرك بديلا يا حبيبي.

يقرأ الحبيب الرسالة وهو يحاول منع دمع يتجاوز جفنيه. كلام الحبيب سهام تدمي القلب. والخبر فاجعة من طراز رفيع. تاه بين الكلمات. يريد أن يكتب لها، أن يجيبها، لكنّه يتردّد، لا يدري ما الجواب المناسـب في هكذا مواقف. في النّهاية يجيب الحبيبة التي تنتظر الرّد في لهفة.

حبيبتي؛

الخبر صـادم فعلا، لكنّ ثقتي في الحبّ أقوى من كلّ القرارات. لا تنسـي أنّنا تواعدنا أن نحيا ونموت معا. متفائل أنّي سـأحيا معك طول العمر. نحبّ بعضـنا بجنون ونفعل كلّ شـيء بجنون. لابدّ من التّمرّد والعصيان. ليس من حقّهم أبدا أن يفرّقوا بيننا. لا تحملي همّا. سنتجاوز هذه العقبة. سيكتب التاريخ عن حبّنا بمداد الفخر... قبلاتي وعناقاتي.

تسـتقبل الرسـالة بفرح، تقرؤها بحبّ، تفتح ذراعيها وبابتسـامة خجولة تتلقّف قبلته الفايسـبوكية، وترقص رقصـة مشـاغبة تعبيرا عن فرحها وعشـقها. الحب ليس متاحا للجميع. يجب أن تكون محظوظا لتقع في الحبّ، وأكبر تعيس لتخيَّر بين الحبّ والوطن.

الشـاعرة كانت مخيّرة بين وطنها وحبّها للمغربيّ. إذا اختارت حبيبها فعليها أن تنسـى الوطن. قاسـية هي الحلول الممكنة، وقاسية هي الأوطان أحيانا. تبّا للسّاسة أينما وجدوا. تبّا لأنّهم يصنعون العراقيل ويلعبون بأحلامنا، وبنا كدمى جامدة.

اختار المخرج الحلّ الأسهل لعقدة فلمه، قمع شخصياته، ولم ينتصر للحبّ. جعل الحبيب يخون العهد الذي قطعه للحبيبة ليظلّ في الوطن مع الأسرة، لكيلا يفقد الوظيفة في زمن تعطيل الدّكاترة، لكيلا تصيبه لعنة الأولياء الصّـالحين الراقدين دون حراك في هذا البلد. لو اتخذَ حبيبتَه زوجتَه وطنا لكان أفضـل له. الحبيبة كالوطن بل هي أمّ الأوطان. كان على مخرج الفلم أن يجعل قوانين البلاد ترضـخ لسـلطة الحبّ، لسلطة الإنسـان فينا الذي نحنّ إليه. كان على سـاسـتنا وحكّامنا أن يجعلوا الحبّ دسـتورا لنا، أن يجعلوا الأخوّة ميثاقا بين الشّعوب، أن يعبّدوا الطّريق ويفسحوه لصلة الرّحم مع أبناء ملّتنا وجيراننا.

أمّا الشـــاعرة الجميلة فجعل نهايتها تراجيدية أكثر من اللازم. تمرّدت على الوطن الذي حرمها من الحبيب واحتجّت بصوت عال على سياسة القمع وحقّ اختيار شريك الحياة، فسجنت بتهمة إثارة الفتنة في البلاد. وسُـــمع بعد أيّام خبر انتحارها في السّـجن...الشـــاعرة العاشـــقة أقوى بكثير من أن تختار الانتحار حلّا وخلاصا.. !

اللعنة المباركة

سهام البهجة-المغرب

كنت شابا عشرينيا متهورا، دائما ما أسخر من الناس وأجعلهم محط سخرية الغير. لم أكتف بذلك بل شكلت رفقة شابين آخرين عصبة من الشر ترعب المارة وتسلبهم مالهم. في يوم من الأيام، وبينما نحن جلوس بأحد الأزقة الضيقة للمدينة القديمة مر كهل مقوس الظهر.بكل ثقة أخبرت رفيقي أني سأنجز المهمة وأسلبه ماله. ضاربا عرض الحائط كل مبادئ الدين والإنسانية اقتربت منه وسكيني يرقص بين يدي. أمرته أن يسلمني كل ما يملك وأن يُسْلِم يَسْلم. تجاهلني العجوز ولم يسلم لديني المريد الذي لا يسلم منه إلا من سلم كل ما يملك. حينها هممت بضربه مستعملا سكيني كي أصيب من جسده النحيل ما يروي شغفي للدم.نظر إلي العجوز نظرة الصامد الواثق من نجاته ثم همهم بكلمات لم أسمعها ،بمجرد انتهائه منها تراجعت للخلف ممسكا برأسي بعد ألم شديد ألمَّ به، عقبه اهتزاز شديد بجسدي. جرى صديقيَّ باتجاهي في محاولة منهما لإسعافي أما الشيخ فقد غادر المكان. بعدما تحسن وضعي اتجهت صوب غرفتي الصغيرة.ارتميت على سريري المتهرئ راجيا بعض الراحة بعد الحادثة الغريبة .

في صباح اليوم الموالي خرجت من بيتي وكأن شيئا لم يكن.مرت بجانبي قطة فرفعت رجلي كي أركلها، لكن فجأة رأيت في عينيها نظرات الشيخ الواثق فتسمرت مكاني غير قادر على أن أخطو خطوة أخرى. تركت القطة وشأنها متجاهلا الإحساس الغريب الذي أحسسته. وبينما أنا كذلك مرت بجانبي شابة تحمل حقيبة صغيرة، همست لنفسي أكيد بها ما ينفعني فتبعتها كي أسرقها منها لكن الأمر تكرر.بمجرد أن لمست حقيبة الشابة وأردت خطفها استدارت فرأيت الشيخ وقد تلبَّس محياها أما يدي فقد شلت ولم أتمكن من سرقتها ،هربت الشابة بسرعة كي تنجو من بطشي. احترت في أمري فلا يمكن أن يكون ما يحدث معي مجرد حادث عابر. لماذا أرى الشيخ في كل مكان؟ عدت أدراجي أجر ذيول الخيبة وأنا أتساءل هل أصابني مس أم هي لعنة حلت بي بعد محاولتي سرقة الكهل؟

حل الليل فقررت أن أستسلم للنوم مبكرا على غير عادتي.بمجرد نومي وبدء رحلة الأحلام رأيتني وقد ظهر داخل جمجمتي قزم شبيه بي، بادرني بالكلام قائلا : «هل تعلم من أنا؟» ، دون أن أجيبه استرسل

قائلا:«أنا رفيقك الجديد أينما حللت وارتحلت وجدتني أمامك فأسلم تسلم ». بمجرد نطقه لتلك الكلمات أدركت أنها نفس الكلمات التي وجهتها للشيخ .استيقظت من نومي مفزوعا مما رأيته، قررت في الوقت الحالي التوقف عن أعمال الشغب، وفي المقابل سأبحث عن الشيخ لعلي أجد الحل لديه لما حل بي، فأكيد هو ساحر قد ألقى علي تعويذة من تعويذاته.

جبت الأحياء المجاورة على أمل إيجاده، بعد بحث مضن تمكنت من الوصول إلى مسكن الشيخ. طرقت الباب طرقتين تلاهما صوت يدعوني للدخول. بمجرد ما دخلت وجدت الشيخ وقد اتخذ لنفسه موضعا وسط غرفة جمعت بين البساطة والأناقة تتوسطها مائدة قد حوت مبخرة تفوح منها رائحة زكية. غير مفارق لسبحته الخضراء طلب مني الكهل الاقتراب وقد علت وجهه ابتسامة هادئة. بادرني بالكلام وكأنه لا يعرفني:«كيف أخدمك يا بني؟» ، في انزعاج تام أجبته : «لماذا أيها الساحر فعلت بي هذا؟ كان بإمكانك أن تشل حركتي دون اللجوء إلى إلقاء لعنتك علي وجعل القزم يتحكم بحركاتي». بنفس الهدوء سألني عما يفعله القزم بي وكأنه لا يعرف، لم يكن أمامي خيار فأنا مضطر لمجاراته كي يوقف مفعول لعنته لذلك سردت على مسامعه كل ما يحدث بالتفصيل. بعدما أنهيت شرحي أخبرني أن الحل الوحيد للتخلص من لعنته هي خدمته لشهرين متتاليين. فور سماعي للأمر وقفت والغضب يعلو وجهي: «كيف أخدمك لشهرين أنا لست خادما لأحد!». لكن في سري أعلم أني إن لم أفعل فلن أتخلص من لعنته. استسلمت للأمر الواقع وقبلت شرط الساحر اللعين فليس لي خيار آخر.

نمت تلك الليلة عند الشيخ لأنه طلب مني ملازمته. بينما أنا غارق في نومي أيقظني مع أذان الفجر وطلب مني أن أجهز له ماء الوضوء. تمتمت في سري متى كان للسحرة دين! ثم قمت من مكاني لخدمته كما اتفقنا. بعدما صلى رفع يده بالدعاء ثم قام من موضعه. أخبرني أننا سنغادر البيت بعد الإفطار. الغريب في الأمر أنه لم يطلب مني تحضيره بل هو من فعل ذلك وقد كان يتحرك وكأنه في عنفوان شبابه. تناولنا فطورنا ثم خرجنا باتجاه أحد الأسواق المجاورة. لقد كان الشيخ بائع أعشاب اشتهر بين الناس بحنكته في الطب البديل. لاحظت إقبال الناس عليه وحبهم له،لم تكن الأثمنة التي يبيع بها الأعشاب مبالغا فيها بل هناك من يأخذها مجانا، فحسب ما علمني في يومي الأول الأرملة لا تدفع والعجوز الفقير لا يدفع. كان كلما جاءنا زبون همس في أذني تذكر يا بني تجارتنا مع الله وليست مع العباد أوف الكيل ولا تبخسه، وأحسن النصح ولا تخدعه. مر اليوم الأول بسلام كنت متذمرا بعض الشيء فأنا لم أتعود على العمل، لكن في

المقابل كانت هناك سـعادة تطفو بخجل على قلبي، إلا أنها لم تتمكن من غمره تماما.في طريق عودتنا مررنا ببضـع منازل متفرقة كان يأمرني بطرق الباب وترك سـلة تتضـمن مقتنيات البيت وبضـع قروش أمامه ثم الانصـراف. لم يلتفت وراءه ليرى من أخذ أو كيف اسـتقبل العطاء بل أدار وجهه ورحل بسـرعة،أما أنا فمن فضـولي اسـتدرت لأرى ردة فعل الناس كان أغلب من يخرج من المنازل أطفال رفقة أمهاتهم يبدو على محياهم الفقر،كلما خرجت أسـرة إلا وتهلل وجهها فرحا وتبادلت الضحكات ثم رفعوا أيديهم بالدعاء. أكيد أن تلك الأسر لا تعرف من فعل ذلك فالسيد صابر لم يكن ينتظر خروجهم .

مرت الأيام والسيد يأمرني بتجهيز ماء الوضوء ومكان الصلاة، أما الأكل فتجهيزه من اختصاصه. في كل يوم نخرج للسـوق ونقوم بنفس الأعمال خدمة الغير بالقليل من المال والذي يصـرف الشـيخ جله على تلك الأسـر ويترك لنا القليل كي نصـرفه. أما الأعشـاب فلم يكن بحاجة لشـرائها ففي كل يوم جمعة نقصـد الغابة ونجمعها وقد علمني الكثير عن تلك الأعشـاب ومنافعها. لطالما اسـتغربت من أفعال الشـيخ إذ يمكن أن يكون سـاحرا وهو دائم الذكر كثير التصـدق قليل الكلام.لا يأتيه محتاج إلا جبر بخاطره ولا احتاجه فقير إلا ساعده. لكن في نفس الوقت أقول في نفسي لعل هذا كله غطاء لأفعاله، فلو لم يكن ساحرا ما كنت لأراه في كل مكان وما كان وجهه ليلاحقني، لو لم يكن ساحرا ما كنت لأرى القزم في منامي. كنت أسمع ترتيله للقرآن فصـار قلبي يفرح بتلاوته، كلمات سـبحان من نسـجها لم أكن أسـتوعب كل ما يرتله لكن كانت الطمأنينة تحل بقلبي أثناء ترتيله.

بعد مرور أكثر من شـهر على تواجدي مع الشـيخ أحسـسـت أني أحببت الصـلاة وأريد أن أتعلمها فطلبت منه أن يعلمني، تبسـم لما سـمع مني ذلك. ثم طلب أن أجهز ماء الوضـوء كي نبدأ هامسـا في أذني:«الطريق إلى الله لا تحتمل التأخير». تعلمت على يديه الوضوء والصلاة. وبمجرد أن أديت أول صلاة لي في حياتي انفجرت باكيا بين يدي الله وقد اهتز جسدي وارتجفت أوصالي بين يدي الرحمان خصوصا لما قرأ الشيخ قوله تعالى:«لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله». استحييت من ربي الذي ما خجلت منه يوما وما عملت خيرا قط لأجله. أنهيت الصلاة وقد غمرت الدموع وجهي. اقترب مني السـيد صـابر و هو يقول:«الآن الآن أحررك بني فلم تعد ملزما بخدمتي». عانقته وأنا أبكي كيف لي ألا أخدمك وأنت منقذي إن قبلت بي غلاما مطيعا أنهل من علمك فسأكون أسعد الناس يا سيدي .

بعدما هدأ من روعي خاطبني قائلا:«أكيد أنك تريد معرفة سـر ما أصـابك يوم هاجمتني؟». طأطأت رأسي في خجل مؤكدا ذلك. حينها تبسم ثم استرسل قائلا:«عندما رفعت سلاحك تذكرت شيئا واحدا أنك لو ضربتني فستحرم تلك العائلات التي أعيلها من المساعدة ولن تجد معيلا لها لكن وفي نفس الوقت لمحت في عينيك الضائعتين طيبة مخفية. حينها دعوت الله أن يجعلك خليفتي بعد مماتي فحدث معك ما حدث. ولما جئتني تشكو القزم وتشكو اللعنة أدركت أنها دعوتي قد استجاب لها الرحمان وعلي أن أحسن استغلالها، فاشترطت عليك أن تخدمني شهرين كي أتمكن من تغيير عاداتك ومعتقداتك بإذن الله،لذلك حرصت على أن تخدمني في أمور الدين وتكلفت بخدمتك في أمور الدنيا. ازداد بكائي وكأني طفل صغير وأنا أدرك أن من حاولت قتله قد أحياني وصنع مني شخصا جديدا. بعدما هدأت أوصالي أخبرني أنه يثق بي ولن يحتاج مني وعدا على خلافته. منذ ليلتنا تلك صرت لا أترك صلاة إلا أديتها رفقة منقذي وكان الشيخ في كل يوم يعلمني أكثر عن الأعشاب وفوائدها،حتى صرت متمرسا ضابطا للعمل.

غادر الشيخ صابر الحياة ساجدا في فجر أول ليلة من ليالي رمضان وقد علت الابتسامة محياه وكأنه تبوأ مقعده من الجنة. غادر الحياة لكن لم يغادر قلبي بل صرت أفعل كل ما أفعله راجيا من الله أن يكون صدقة جارية لروحه الطاهرة. وأنا الآن بانتظار شاب أسرق قلبه كما سرق الشيخ علي قلبي فالمشعل لا يجب أن ينطفئ.

الضفيرة:

شيماء أبجاو- المغرب

تُتابع عينا الأمّ زهرة المُتعبتان ضـفيرة ابنتها مريم المُتدلية على ظهرها، بينما تهمّ الفتاة بفتح الباب والخروج من حرم البيت الآمن إلى مغامرة أدغال الشـارع قاصـدة الاعدادية التي تدرس بها. زهرة التي جفّت منابع الحياة عندها باكرا بوفاة الزوج، وهجرةِ الابن البِكر إلى ديار الغربة؛ تعتبر ابنتها مريم سـلواها الوحيدة، ومصـدر بهجتها، بل معقد آمالٍ وأحلام لم تتمكن هي من تحقيقها. هكذا هم الآباء دائما يحمّلون الأبناء أوزار أحلامهم الخاصة، وينسون أن هؤلاء الأبناء أشخاص لهم ذوات مستقلة، وأحلام خاصة!

غير أن زهرة لم تكن تجد غضاضة في حلمها المشروع؛ فقد كان كل مُناها أن تنجح في حماية ابنتها ورعايتها إلى أن تجتاز جسـر المُراهقة بسـلام، وتنجح في الدراسـة، وتتمكن أخيرا من إيجاد موطئ قدم في سـوق الشغل.

ضـفيرة مريم تهتزّ فوق ظهرها بحركة متناغمة مع مشـيتها الرشـيقة، وتزداد حدّة الاهتزاز كلّما اقتربت من باب المؤسـسـة التي تدرس بها، فقد كانت تُشـكّل عالما مسـتقلا بالنسـبة لها، حيث تُخلّف وراءها أمها وتعليماتها، والمنزل ومُتطلباته، لتسـتقبلها ابتسـاماتُ رفيقاتها المُرابطات عند باب المؤسـسـة. حينها فقط تفتح حضـنها لعناق الشـغب وبعض الجنون، ومرح الطفولة التي تتسـرب من بين أيديهن، وهنّ يُسـرعن الخطو نحو المراهقة والشباب.

كانت زهرة تُدرك أن ابنتها تمرّ بمرحلة فضـولية، يشـتعل فيها حب الاسـتطلاع ليُحرق حدود القواعد، ويكسـر قيود الطاعة، إطفاءً لعطش الفضـول، وسـعيا للاكتشـاف. كانت تُحاول بكل قوّة أن تُخمد هذه الحرائق وتسيطر عليها، بالكياسة حينا، وبالغلظة حينا آخر! فمرّة تَحرصُ على مشاركتها اهتماماتها طمعا في الاقتراب منها والتسلل إلى عالمها، ومرّة أخرى تُغلظ القول، وتجعل ابنتها تفهم أن للحياة ناموسا يجب أن يُحترم!

وهي تُراقبها من بعيد كانت تشـتهي الحصـول على واحدة من تلك الضـحكات التي تطلقها ابنتها مريم كلّما التقت بصـديقاتها. كانت تطمع في قبس من ذلك الحب والتناغم الذي تحظى به الرفيقات، نعم كانت تغار! لكنّها غيرة مَحبّةٍ وخوف، لا غيرة سـيطرة وتملّك؛ على الأقل هذا ما كانت تراه زهرة في نفسـها قبل أن تنفجر مريم في وجهها مُحتجّة لأول مرة، بعدما منعت عنها زيارة الصديقات في البيت ولو بحُجّة الدراسة والمراجعة!

لم تدرك زهرّة أن مثل هذا القرار زلّة ما بعدها زلّة، بل أمر قد يتداعى إلى أن يصـير شـرارة ثورة... كيف لا وقد وصفتها مريم هذا اليوم بصراحة وصفاقة ب: "سجّان لا يرحم!"

إنه منتصف الليل، والنوم لازال يُجافي زهرة التي زادت ذبولا بعد الواقعة الأخيرة مع ابنتها مريم. نهضت من سـريرها طلبا لكأس أعشـاب مهدئة، لكنها لم تكد تجتز الرواق المُؤدي إلى المطبخ حتى بدأ صـوت مريم يتردد في أذنها كرجع صـدى بعيد: "سـجّان لا يرحم...سـجّان لا يرحم...سـجّان لا يرحم" شـعرت أنها تفقد اتزانها، وأن قواها تخور! لم يخطر ببالها يوما أن مسـؤولية تربية مراهقة سـيستنزفها على جميع الأصـعدة! وآلمها ألا تلتفت ابنتها لتضـحيتها برفض كلّ من يطلب يدها للزواج إكراما لها، وحرصـا على التفرّغ لرعايتها بعين العرفان والامتنان!

القدر اختار لها الوحدة، فلا يد لها في موت زوجها، وهجرة ابنها إلى الطرف الآخر من العالم ! حتى تواصـلها مع ابنها بالصـوت والصـورة ما كان ليشـفي غليلها، إنها تفتقده، وتشـتهي أن تُعانقه وتَشـتمّ فيه رائحة زوجها الفقيد، رحلا معا ولم يتركا لها إلا مريم وحرب الأجيال الضروس! أعدّت كأسا من الأعشاب المُهدئة، وعادت نحو غرفتها في استسلام، لكن طرقات خفيفة داهمتها قبل أن تركب سفينة النوم الخاصة بها.

ظهر رأس مريم من خلف الباب وهي تطلب الإذن بالدخول، ولم تتوان زهرة في فتح يديها على مصـرعيهما طلبا لعناق يقول كل شيء!

أخرجت مريم المشط الخشبي من جيبها، وأولت ظهرها لأمها في استسلام مُريح قائلة:

- اصنعي لي ضفيرة النوم!

فكّت الخصلات الناعمة ببطء، وأطلقت سراحها لتتنفس من جديد، أمسكت يُمناها المشط الذي حركته فوق فروة رأس ابنتها بهدوء وحنان، حرّكت يدها اليسرى ببطء فوق الشعر المنساب بينما خللّت الشعر الحريري بأصابعها إلى أن انتهت مهمّة المشط، وقامت بتقسيم خصلات الشعر لتصنع ضفيرة نومٍ مريحة.

وفي جوف الليل، بينما تتسلل في جولتها التفقدية إلى غرفة مريم، لاحت تلك الضفيرة وهي تستلقي خلف ظهرها مستسلمة على المخدّة، إنها منهكة بعد يوم طويل من حصص المواد الدراسية والتربية البدنية، فهنيئا لها بهذا النوم العميق المُريح.

كل يوم كانت مريم تضع قبلتها الحانية على خدّ أمها الناعم، وتنطلق مُلوّحة بيدها نحو الباب، وضفيرتها الطويلة تهتزّ مُودّعة. لكنها تستفيق اليوم على قُبلة خاطفة، ثم... ما هذا؟ أين الضفيرة؟ خصلات شعر مريم الحريري حلّقت مع تيار الهواء الذي تدفق عندما فتحت الباب، واليد الملوّحة، لم تكد تلمحها!

قفزت الأم من مكانها قفزة الملدوغ، واندفعت نحو الباب وهي تبذل كل قوتها للانطلاق بأسرع ما تستطيع حتى تلحق بمريم، أطلقت نداءها كصهيل خيل جافٍ، فالتفتت مريم وقد ظهر الهلع على قسمات وجهها التي لازالت براءة الطفولة تلوح منه، وتجمّدت كتمثال. أمسكتها الأم من كتفيها وتلمّست شعرها وهي تردد: " الضفيرة، أين الضفيرة!؟"

في تلك اللحظة أدركتا أن عصرا جديدا ابتدأ، فعندما تتخلى الفتاة عن ضفيرتها، فهي تعني أن أوان إطلاق سراح إرادتها قد حان! والأم تدرك جيّدا أن إرادة ابنتها ما زالت تحتاج إلى النضج أولا قبل أن تتولى عجلة القيادة.

لكن بركان الحياة كان يعتمل داخل جسد الابنة الشابة، كانت ترغب في التحليق، في إيجاد البديل عن غياب الأب وبُعد الأخ، أن تكتشف العالم من حولها، وأن تبحث عن لحظات الفرح والسعادة! خوف الأم كان المقص الحاد الذي يقلّم أجنحتها، القلم الأحمر الصارم الذي يرسم الحدود، ويضع الأحكام. ورغم أنها عادت لاعتناق الضفيرة بإخلاص، إلا أن نبضات الحياة داخلها أقوى من أن تسكتها أوامر أمّها، ولا حتى أحكام المجتمع. ذكاؤها المُتّقد منحها حيلا كثيرة لتغذية شغفها وعيش مغامرات الشغب مع صديقتها في المدرسة وخارجها.

ونَبضت لواقط الاستشعار بقلب زهرة نبضاتٍ سريعة مُتتالية، وشعرت بمُسحة ألم كجرّة كمانٍ حزين. وامتثلت لصوت حدسها، وانطلقت في زيارة مُفاجئة للمدرسة. لم تدرِ أي الصدمتين كانت أشدّ هوْلاً، أ رصيد ابنتها المخيف من ساعات الغياب المتكرر، ونتائجها التي هوّت فجأة في فجّ عميق، أم صدمتها وهي تراها تُجالس رفيقاتٍ لها في باب المدرسة وقد حرّرت الضفيرة مرّة أخرى!

أمعنت النظر في ابنتها وهي تتصرف وتتحرك كشخص لا تعرفه! أ هذه مريم؟! ربّاه كلاّ، كلا ثم كلاّ فمريم التي تعرفها، تعلمت أدب الحديث، فما هذه الضحكات المُجلجِلة؟ وما تلك التعابير الساقطة؟! شعرت الأم أن الشلل أصاب جزء جسدها السفلي، بينما استمر قفصها الصدري في الاهتزاز بقوّة. وعندما التقت عينا الأم بعيني مريم توقف الزمن، وغاب الوجود من حولها، وقالت العينان كل ما أمسكت الشفتان، وتقدّمت مريم نحو أمها باستسلام.. ومشاعر أخرى!

كان على الأم أن تكتم شلال غضبها الهادر إلى أن تصل إلى المنزل وتحتمي بجدرانه، حتى تطلق سراح تِنّين الغضب الجاثم داخلها. وما إن عبرتا باب المنزل، حتى أطلقت الأم سياط التأنيب، لقد جلدتها جلدا أليما وهدّدتها بإخبار أخيها الذي قد يكلّف نفسه عناء العودة إلى الوطن من أجل لجم جماحها !

لم تلتمس مريم لنفسها عذرا، لم تُبرّر، ولا حتى اعتذرت بإخلاص، كانت تبدو مُنكسرة ضعيفة مُرابطة في قلعة الصمت الحصينة.

وعندما أخذت زهرة كِفايتها، وأمرتها بالتوجّه نحو غرفتها، أطلقت سراح دموعها وانتحبت كما لم تفعل منذ وقت طويل، حدّثت نفسها أن الأبوة هي ثاني أعظم ورطة بعد ورطة الوجود، بل هي فخّ، فالوجود جبر، والإنجاب اختيار! رأت أنها مسؤولية مُمتدة، واستنزاف طويل يُقابل بالتمرّد والجحود ! لكنها تُحبّ ابنتها ولا تملك إلا أن تُحبها بكلّ ما أوتيت من قوة وصبر وجَلَد.

ورغم كل هذا، لم تترك جولتها التفقدية حتى في هذه الليلة الحالكة. دلفت إلى غرفة ابنتها ونور الرواق يتسلل خلفها، لمحت ضفيرتها الطويلة تسترخي بهدوء فوق المخدة البيضاء، شعرت بالراحة تنساب في أوصالها، فاقتربت أكثر وطبعت قبلة على خدّها، وانسحبت بهدوء حتى لا تُقلق نومها.

في الصباح وبينما تحضر الإفطار وتستمع لموسيقاها المفضلة، نادت مريم كالعادة، لكن وجهها الباسم لم يلُح مُشرقا وهي تجري نحوها كما تفعل كل صباح! أعادت النداء مرّة، فمرتين، لكن لا مُجيب! راودها ذلك الخدر اللعين في ركبتيها مرّة أخرى، لكنها جرّت قدميها نحو غرفة ابنتها وضربات قلبها تتصاعد، دفعت الباب الموارب، فلاح السرير الأبيض الواسع تَتوسّطه الضفيرة الطويلة وقد قُصت من المنبت. فهوت الأم أرضا وقد حالت الدنيا ظلاما.

الدائرة

ميمون حِرش- المغرب

الزقاق ضـيق، ودائري بديع، تحيط به بيوت كثيرة تُترك أبوابها الرئيسـة مشـرعةً، في كل وقت تقريباً، تجلس أمام عتباتها عجائزُ، يمارسـن طقوس لوك الكلام بين الجارات، يرسـلنه من بعيد، وبصـوت مسـموع، ولا يكترثن بمن يمر بهن، بل حين يلحظن غريباً، ترميه إحداهن بلفظة داعرة؛ وفي المسـاء تلتقي فيه غِيدُ المدينة، فيزهر بهن المكانُ، متحلقاتٍ بكامل زينتهن يصـبحن مثل واسـطة عقد الحي بأكمله، ومكان مثل هذا كان محط شـباب الحي، يزوره القاصي والداني، بعد أن صار معروفاً لديهم باسم حي "الدائرة"، ولهذا الاسم قصة طريفة.

مساءً يلتقي الشباب، كل يوم، في حي الدائرة؛ في زقاقه يشكلون حلقات موزعة بشكل آلي، حديثهم حول الجنس، ومن سيكون، في كرة القدم، الوريث، أهو رونالدو أم البرغوث؟، منهم من يتوسد حائطاً، ويظل يرنو، وآخر ينهمك في بعث رسـائل عبر هاتفه النقال، وفريق يقرفص كما في الكُتاب... الصـخب يلفهم، وهم يغرقون في لفافات سجائر تنشـر رائحتها وسـط دخان ينداح في الهواء.. يحصـل هذا أمام أعين حسـناوات الحي وقت اجتماعهن كل مسـاء. عيونهم ناعسـة من التخدير، تتقافز بين البنات، وإذا اسـتقرت على إحداها، وهي تغمز، تصـبح حبيبة رسـمية لواحد منهم، حتى دون أن يكون قد التقى بها يوماً، أو كلّمها، تصـير له بمجرد الانخراط في ناديهم، أكثرهم وسامة هو من كان يتكلف باختيار الفتاة المناسبة لكل وافد جديد، يقول لهم متصنعاً الجدية والقيادة، ومقلداً أفلام هوليود التي خدرته حتى النخاع:

"الآن فقط أعلن فلاناً وفلانة زوجين في السراء والضراء"، تعلو القهقهات حينئذ، وتفرقع ضحكات هستيرية وهم يرددون:

" الصلاة والسلام على سدينا محمد

إلى جا .. إلى جا سيدنا محمد، الله مع الجاه العلي. "

والفتيات، وسـط هذه الأهازيج، يحركن أيديهن شـمالا، وجنوباً، ويفهم الشـاب، منهم، أن ذلك علامة على قَبول الصداقة، ولم يكن أحد منهم، لبعد الشقة بين الفريقين، يسمع ما يسررن به، والفتيات، كلما نظرن إلى شباب

الحي، وهم مجتمعون بهذا النحو، تُستثار فيهن كلمات عن فارس الحياة (واحدة منهن تسميه حمار زمني)، ويتهامسن مستهزئات:

- إذا لم يكن وسيماً مثل "براد بيت"، فلا زواج، بل إضراب وعُنوسة...
- فوق الوسامة، إذا لم يكن غنياً فلن يدخل بي.. بل هو خروجي أنا للحرية مدى حياتي..
- أريده مفعماً بالحياة، مثقفاً، وسيماً، وطويلاً.. أشيخ معه شرط أن أكون أنا الآمرة، لا هو..

وكرنفال من النساء في حي الدائرة يزداد كل مساء حتى ليتساءل المرء أين يختفي الأزواج؟ ولماذا يغيب الشيوخ؟! هذه الجموع من النساء لم تلتقِ صدفة، بل للأمر قصة في حي الدائرة، بطلتها فتاة تخطت الأربعين من عمرها، رُزق بها والداها بعد أن يئسوا من الإنجاب تماماً، جاءت متأخرة، مات أبوها ولما يشتدَّ عودها، وتبعته الأم بعد أسبوع فقط، يطلقون عليها في الحي " الوحيدة".

كان الوقت موسماً لقطف الزيتون، ونسائم صيف يجمع رداءه ممزوجة برائحة الزيت المعصورة، تضوع في الأرجاء، وتبعث على راحة نفسية، حين خرجت "الوحيدة" يوماً من بيتها في هيئة غريبة، رسمتْ دائرة وسط الزقاق، وقفت داخلها، رنت إلى السماء وظلت تصرخ : " هذا نصيبي من الدنيا"، اجتمع الناس، تحلقوا حولها مستغربين، في الأول اعتبروا الأمر مجرد نزوة خريف العمر ، ولكنه أصبح يتكرر منها يومياً، ولم يستغرب أحد كلام " الوحيدة" ولا رسمها دائرة، بل كيف تقوى على الوقوف داخلها من الصباح إلى المساء دون أن تشكو من شيء.

كان لنساء الحي أراء مختلفة في النازلة ،بدأنَ الأمر بإدارة السبابات في الأصداغ مع كثير من الطنز واللمز ،عجوز منهن فسرت الأمر بأثر السحر و"الثقاف" بعد أن جربت "الوحيدة" الوسائلَ كلها في جلب الزوج دون جدوى، وأخرى قالت إن الدائرة إنما هي من أثر المدرسة التي انقطعت عنها وهي صغيرة السن، وثالثة اعتبرت ذلك جنوناً حقيقياً عزته لإدمان الفتاة على مشاهدة المسلسلات التركية، وأغرب ما قيل في صيغة حكمة لا حكمة فيها هو قول حيزبون منهن ذات شنب وغبب: " العجب ليس في هذيان الفتاة، بل في الدائرة التي ترسم، إنها علامة على زوال الأنثى، وحلول الخنثى"، وقليلات حسمن الأمر: " إنها مجنونة، وكفى، بدون فلسفة".

وأمام هذا الهياط والمياط لم تكن " الوحيدة" تعي ما يحدث حولها، وكل وُجودها إنما هو محصور في الدائرة، ولازمتها " هذا نصيبي من الدنيا"، عدا هذا فهي بكماءُ تماماً.

اكتسب الحي شهرة، أصبح مزاراً له حظوة، واسم الدائرة سارت به الركبان، بات له نصيب في كل مكان، وكأطيبيْن رسخ في الأذهان، يحفظه الولدان في كل زمان، ويحكي عنه زيد، وعمرو، وفلان، وعلان.

يتجشم الكل تعب السفر إليه من مناطق بعيدة، لمشاهدة الفتاة، ويحرص كل زائر على عيش اللحظة، في رسمها دائرتها؛ مرة تستعمل، في ذلك كحلها، وأخرى تستعين بأعبائها، وثالثة تنكت الأرض بعود على شكل أخاديد، وأغلب من يحضر مراسيم الرسم، ينسى " الوحيدة"، ويظل يحملق في الدائرة ، حار الناس كيف تحفظ شكلها، بدون زيادة ولا نقصان، وكثيرون ، في مرات عديدة، راهنوا على اختلاف شكل الدائرة ، وكانوا يخسَرون الرهان كل مرة، وحين تبدأ تردد " هذا نصيبي من الدنيا" يرهف الزوار السمع، وأطفال كثيرون أصبحوا يحفظون العبارة ، ويرددونها معها كما النشيد المدرسي . أصبح الحي كرنفالاً حقيقياً، يذهب هؤلاء، ويأتي آخرون، و"الوحيدة" وسط دائرتها فارعة، طويلة، لا تحس بمن حولها، فقط تظل تهذي بكلمتها اليتيمة، وما همّ الناس شكل "الوحيدة" أبداً، بل دائرتها تحديداً كانت مثار العجب لديهم، إليها يرنون، وفي زواياها يطيلون النظر مع تمتمات تصدر من أفواههم بشكل آلي ؛لأن هناك من روّج بأن النظر في الدائرة كفيل بأن يشفي الأمراض المستعصية، ولقد أكد الأمرَ مرضى كثيرون شفوا تماماً من علاتهم.

التجار استفادوا كثيراً، وفتح الثراء لهم بابه على مصراعيْه، كراء البيوت ارتفع بشكل صاروخي في حي الدائرة، والطراوة في المكان، وفي الوجوه سُفْتكة، وأصبحت الدائرة برَّ أمانٍ وبركة ، غير أن أمراً واحداً مُحيراً ظل يشغل الناس، النساء خاصة، كان ذاك الوجه الآخر للميدالية، هو لماذا لا تتزوج فتيات الحي رغم ما حباهن الله من حسن، وجمال، وقد ممشوق ، ازدادت نسبة العنوسة رغم الرواج ، واللائي كن يحلمن بشبيه لنجم هوليود "براد بيت" اشتعل رأسهن شيباً دون أن يطرق بابهن أحد، والشباب الذين ملأوا زقاق الحي صخباً ورعونة، ورائحة ، أغلبهم رغب عن الزواج، وأدار الظهر للحي ودائرته المغلقة، وفضل قوارب الموت بحثاً عن الدائرة المفتوحة في ضفاف مفتوحة على كل شيء ، وآخر ما يشغلهم هو الزواج، أحدهم قال لأمه حين أصرت على تزويجه : " أبي مجرم، ولن أكرر فعلته أبداً ".

المرأة التي عمرت طويلا في الحي، والتي لم تغادر غرفتها قط، حين اجتمعت النساء لديها تحدثت في حضورهن طويلا عن " الوحيدة"، وأكدت النساء لها حلول لعنة ما على الحي، فالعانسات أمواج، وما الرواج، في حي الدائرة، سوى سِحر لطرد الأزواج، و"الوحيدة" أصل الكرب.

ضربت المرأة الكبيرة كفاً بكف، وصرخت: "عليها أن تكف، عليها أن تكف ".

ولن يكف الوحيدة - حكمتِ المرأة الكبيرة- عن رسم دوائرها سوى الحبس، أو تصفيتها... اختارت النساء الحكم الثاني، وحين هجمن على بيت "الوحيدة" لفعل اللازم حسب الاتفاق، كان القدر قد رتب كل شيء، كما لو كان معهن على وفاق، وجدْنها ميْتة وقد تكورت داخل دائرة مثل كوبرا في أبهى صورة.

حضر مراسيمَ دفن الوحيدة الأهالي، والغرباءُ أيضاً، وفي المقبرة حشروها واقفة في قبر على شكل دائرة، كان القبر الوحيد المختلف، والإمام، الذي اعتبر ذلك ضلالة، وبدعة، انسحب، وهو يقرأ آيات من القرآن الكريم، تبعه آخرون، ولم يضعْ آخرَ حفنة من التراب على القبر سوى من حفره، مدفوع الأجر، في سكون، وحين سُئل الرجل عمن أمره بحفر قبر دائري، أكد أن لا أحد، مستطرداً أنه حين همّ بالحفر طاوعه معولُه، ولم يحسَّ به أبداً، إلى أن استوى القبر سريعاً، أمام ناظريه، على شكل دائرة.

بيوت حي الدائرة كلها تقبلت العزاء في "الوحيدة".

وفي الغد، سيخيم سهوم على الناس، حيارى، واقفين، زرافات، وجماعات.. بدون كلام، كانوا جميعاً يتأملون بيوت الحي، رُسمت على كل باب، دون استثناء، دائرة وسطه، تُوجت، على الأبواب، كل الأبواب، بشكل واحد كما لو أن يداً واحدة، ماهرة رسمتها.

وآخِر وفد يزور الحي، بعد وفاة "الوحيدة"، كان من العلوج، جلبوا معهم مهندسين مختصين، قاسوا، في أبواب الحي، الدوائر كلها، أخذوا معهم مقاسها ثم رحلوا.

أحلام مغدورة

سفيان البرّاق، المغرب

رأيتُ إعلاناً يعتلي واجهة عمودٍ كهربائيٍّ مائل. التقطتُ صورةً له، ثم قفلتُ راجعاً الى البيت، لأعيد تهيئة نفسي. ارتديت بزّة لائقة، تطلُّ منها ربطة عنقٍ باهتة اللون، واعتمرت بيرية رماديّة اللّون لأجذب القائمين على الكاستينغ. تعطّرت واتّجهت الى الموعد أحثّ الخطى. أحلم أن أصير ممثلاً يتفنّن في لعب مختلف الأدوار، وأن أصبح من الأسماء الأولى في السّاحة الفنية لتعتلي صوّري واجهة الجرائد والمجلّات، ويتهافت عليّ كبار المُخرجين من كلّ حدبٍ وصوب، يعرضون عليّ سيناريوهات وعروض ماليّة مغرية فأتمادى في اختيار الأنسب، وأُعاني من خناق المعجبين الحالمين بصورةٍ أشاركهم إطارها. أحلامٌ تقفزُ في ذهني بسرعة وتُحدِثُ طنيناً، كطنين نحل، نجمَ عنه ألمٌ حادّ.

وصلتُ إلى حيّ المعاريف، المتميز ببنياته الشّاهقة، وشوارعه الشاسعة، واكتظاظه الرهيب بالسيارات بمختلف أنواعها وأشكالها. مررتُ بجانب "توين سنتر"، رفعتُ بصري أحدّق فيه، مستغرباً الكيفية التي أنشئ عليها، وكم المدّة التي تطلّبها بناؤهُ. تذكّرتُ الموعد. راقبتُ ساعتيّ اليدوية، وزدتُ في سرعة المشي. لم أجد المكان بسهولة إلّا بعد أن استوقفتُ أربعة أشخاصٍ في طريقي، كلّ واحد أسألهُ لوحده، لأنّني أخاف أن يرشدني أحدهم إلى عنوان خاطئ، فأتيه في مدينة تعجُّ بالتناقضات. الثقةُ في المدن الكبرى مفقودة. إذا بحثت عنها فكأنّك تبحثُ عن إبرةٍ في كومة قش.

فرِحتُ بوصولي للمكان المُحدّد دون تأخير، سياراتٌ فخمة أمام المبنى، ودراجاتٌ نارية متهالكة، باهتة اللّون. قدّمتُ نفسي لحارس قاعة الكاستينغ، وطلب مني بطاقة هويّتي، ناولته إيّاها، وأشار عليّ بالجلوس في ركنٍ قصيّ برفقة الآخرين حتى يُنادى عليّ. أومأتُ برأسي متفهماً.

لم أجد كرسياً أجلس عليها حتى ترتاح قدماي المتعبتان من شدّة الهرولة. كان جبيني يتفصّدُ عرقاً، وإبطاي أفرزا رائحةً نتنة، مقزّزة، لأنّني قلّما أستحم. رأيتُ ممثّلين مشهورين يُدخنون سجائر رفيعة. وجوههم تختلفُ عن الّتي نراها في التليفزيون...تخفي بُتورهم السّوداء وتُخفي ندوباً لازلت مخلّفاتها بادية عليها. أمّا الممثلات، اللواتي يظهرن في أبهى حلّة على التلفاز؛ يمشين بكعبٍ عالٍ، في دلال وغنج، وبمكياجٍ

شـديد البهيّة فواقع حالهن يقول العكس هنا. فشـعرهنّ منكوش، يرتدين بِدلاً وأحذية رياضـية بسـيطة، وجوههنّ واجمة، ويرمين زملاءهن بعباراتٍ بذيئة، ممّا يدفعهم إلى الردّ بعباراتٍ منتقاة من قاموس الكلام المُقذع، فينهالون عليهنّ بوابلٍ من الكلمات السّاقطة المرفقة بضحكٍ مجلجل. تابعت تلك المشاهد بتركيز. فقفز سـؤال إلى ذهني جعلني متحرّجاً ورأسـي مدفوناً بين راحتي يديّ ومرفقاي مسـندان إلى ركبتي: كيف يتصـنّعون على التلفاز ويُرددون عبارات تخفي وراءها تواضـعاً مزيفاً ومنمّقاً يجعل المُشـاهِد يصـدقهم، ويتعاطف معهم دون تفكير؟ إنّ الوجوه في الغالب ليسـت سـوى أقنعة تضـمر الخفايا الصـادمة والنوايا المبيّتة.

أخذت الشّـمس تبتعدُ عن كبد السّـماء. يلجُ الغرفة واحدٌ تلو الآخر، هناك من يتأخر وهناك من يخرج على جناح السّـرعة. هناك من يخرج وراحةٌ تامّة تعتلي وجهه، وآخر يخرجُ مكفهر الوجه ناقماً على الوضع. ظلّ صوت الحارس، وهو ينادي المترشّحين، يصدحُ في أذني. بعض الأسماء سبق لي أن سمعتها من قبل، وأخرى جديدة على أذني؛ ربّما هي لممثّلين مغمورين. فجأةً. سـمِعتُ الحارس المُنظِّم لعمليتي الولوج والخروج من القاعة يناديّ عليّ. اقتربتُ من المدخل فرمقني مطوّلاً بنظرة اسـتغرابٍ وتعجّب، لم أفهم فحوى نظرته تلك، ولم أُعِرها، في الحقيقة، أيّ اهتمام. دلفتُ القاعة. كانت فسيحة عالية السقف، تعتلي جدرانها، الّتي نخرتها الرّطوبة فتقشّر طلاؤها، لوحاتٌ فنيّة لأيقونات الفنّ التشكيلي: بيكاسو ودافنتشي، وصور لشخصياتٍ، تنتمي إلى المجال الفنّي، بيد أني لم أتعرّف عليها. قرب الباب كَراسٍ سوداء من الجلد مصطفّة بإتقان، يجلس عليها ثلاثة أشخاص؛ رجلان سبق أن شاهدتهما في سلسلةٍ فكاهيّة في شهر رمضان لم ترقني ولم ترتقِ إلى مستوى تطلُّعاتي، تتوسّطهم امرأة مليحةُ الوجه، دقيقة الملامح، فارعة طول، هزيلة البنية. ترتدي معطفاً أسـود اللون، وتعتمِرُ قبّعة مزركشـة، تضـع سـواراً ذهبياً زيّن يُسـراها. بينما يجلس الرجلان وجبيناهما مقطّبين، كل واحدٍ يشـابك أصـابع يده مع الأخرى في حزمٍ وثقةٍ كبيرين. كلهم يُمسـكون ملفات موحّدة المقاييس، وهم يتطلّعون إلى وجهي بترقّب شديد.

ألقيتُ التحيّة وجلسـت بأدب. نزعتُ البيرية، ووضـعتُ يدي اليسـرى على الطّاولة والأخرى بقيت ممدودة. رحّبت بي السـيدة باسـطة ثغرها ومظهرةً الكثير من الاحترام. طلب منّي الرّجل الذي يجلس في أقصى اليمين بأن أُعرّفه بنفسي وأن أعطي نبذة عن مساري في المسرح، وأن أبيّن له اهتماماتي وتطلُّعاتي.

لم يكن لي مسارٌ يستحقّ السرد سوى أنّني أدّيتُ أدواراً ثانوية في مسرحياتٍ مغمورة حضرها عددٌ قليل جداً من الجمهور، كان مخرجوها والمكلّفون بالسينوغرافيا والتأثيث، بل حتى كاتبها، في بداياتهم ولا يزالون.

تنحنح صوت قويّ من أقصى اليسار. اقترح عليّ تمثيل مشهدٍ درامي هو كالتالي: أن أحمل حبلاً خشناً، وأضعه بعناية تحت بزّتي، وأختبئ وراء عمودٍ إسمنتيّ في وسط القاعة، وأنتظر الفرصة السّانحة للانقضاض على الضحية ولفّه على عنقه، لكن الضحية سيُقاوم قبل فعل ذلك. تقدم شابٌ في العشرينيات، تبرز عضلاته المفتولة بشكلٍ غير طبيعي؛ ... نِتاج لمُكمِّلات الأجسام التي إمّا أن تخلِّف عجزاً جنسياً أو فشلاً كلوياً، وإمّا أن تتلف الكبد. تقدّم لمواجهتي، أنا المسكين نحيف القد، واهنُ القوى. فكيف سأجابهُ ردّة فعله يا ترى رغم أنّنا نؤدّي دوراً تمثيلياً فقط؟

أيقظ اقتراحهُ ذاك كومة من الذكريات الرّاكدة. تفصّد جبيني عرقاً وشعرتُ بإنهاكٍ شديد في ساقي وقفزت إلى ذهني ذكرياتُ الماضي العصيب. تسمّرتُ في مكاني ونزل برأسي دوّار شديد. قبل عقدٍ من الزمن اقترفتُ جريمةً في قريتي النّائية بنفس الطّريقة. هل نسيتها حقّاً؟

كنت أحبّ حليمة التي لازالت صورتها عالقةً في ذاكرتي، فطيفها يزورني في كل حين حتى أصبح مترسّخاً في شعاب ذاكرتي. أحببتُها بجنون. كان شعرها مسرّحاً بأناقة وفي عينيها التماعة تُضفي عليها مسحة إغراء. كلّما ابتسمت إلّا وكشفت عن غمّازتيها، ووجهها الدّافق بالحياة ينضحُ حُمرةً وتورُّداً. إنّ رؤيتها كافية لانشراح صدري وتراخي قدميّ. لم تكن تقاسمني أيّ مشاعر فيّاضة، فكنت أغلي عندما أراها مع عماد الّذي يدرسُ في فرنسا ويعود إلى مسقط رأسه صيف كلّ سنة. لعِبتُ على حبال الكلمات برشاقة حتى أستميل قلبها، وساعدتها على نقل براميل الماء من "المطْفِيّة" إلى منزلهم الآيل للسقوط مبيّناً لها قوّتي المضمرة رغم بنيتي الهزيلة. كلّ محاولاتي باءت بالفشل، ليمزّق الغيض صدري، وتتوقّد نار حقدي الدفين الذي أكنُّهُ لـعماد.

سمعتُ أصواتاً من الخلف، أصواتاً جهورية. كان دبيبها يصل إلى أذنيّ بصعوبة. فقدتُ الوعي وأنا لازلتُ واقفاً. كرِهتُ التمثيل وما يُفرزه. ظننتُ أنّي نسيتُ الماضي ودروبه، لكن ذلك كان مجرّد وهم صدّقته.

تهاويتُ على الكرسيّ وكانت أطرافي مشلولة. شعرتُ بالضوء في الغرفة يُصبح ضئيلاً. ثم وقفتُ أذرع الغُرفة كطائرٍ مذبوح لا أعرفُ لي وجهة. سرت رعشة في جسديّ بعدما رُشّ وجهي بماءٍ بارد، وبخّت السيدة من قنينة عطرها بخّتين على أنفي، لكنّه كان مطيّن. استنشقتُ الرّائحة استنشاقاً قويّاً، استجمعت قواي ووقفتُ أخيراً. أيقنت بوجوب المضيّ في مواجهة هذا السيل الجارف من الأحزان بدءا من الآن.

عاد عماد صيف سنة 2007. كان الجوّ حاراً. رأيته صحبة حليمة مساء ذلك اليوم يجوبان أزقّة القرية ويداهما متشابكتان. ظللتُ أسترقُ النّظرات إليهما. حاولت السيطرة على نفسي وحملها على عدم الانسياق وراء الأهواء الشيطانية، بيد أنّني لم أقدر. سرى في ظهري دبيب رعشة وأغشى رأسي الدوّار. تبعتهما حتى افترقا قبل غروب الشّمس بعد أن طبع عماد قبلةً على جبينها ومرّر راحة يده على وجهها ومتلمِّساً شعرها النّاعم. بينما أفرجت هي عن ضحكةِ فرحٍ ضاجّ يجتاحها.

تصلّبتُ في مكاني مقاوِماً أفكاري. لم أستطع مجدداً. سِرتُ في اتجاه البيت، فتّشتُ عن حبلٍ قصير عثرت عليه في الإسطبل وخبّأته في سروالي الرّث. عِماد معتاد على التمشّي لبرهة في ضاحية المنزل بعد تناوله العشاء مع أسرته. انتظرتُ الفرصة لأنقضّ عليه وأصب جام غضبي وحقدي عليه. انتظرتُ طويلاً. دخّن سيجارته بعد أن أمسكها ومرّرها تحت أرنبة أنفه وأودعها في فمه في التذاذٍ قبل أن يُضرم النّار فيها. رمى عقب سيجارته وحثّ الخطى عائداً إلى البيت. اختبأتُ وراء جدارٍ طينيٍّ نخرتهُ الأمطار. تربّصتُ به منتظراً الفرصة السانحة لأرتاح من هذا العذاب. اقترب من البيت استللتُ الحبل في هدوء وقمتُ بلفّه على عنقه بقوّة حتى أطلق صوتاً لايزال صداهُ يرنُّ في ذاكرتي. قاوم ببسالة قبل أن أوجه إلى عقب رأسه ضربةً بحجرة صمّاء أسقطته مغشياً عليه، ثم لُذتُ بالفرار. لم أتذكّر كيف وصلتُ إلى هذه المدينة، مدينة الحزانى وأصحاب النّفوس المكدودة، ولم أعُد أتذكر كيف أنني نسيتُ كل شيء واختفيتُ عن الأنظار. كما لو أستوعب أنّ عقداً من الزمن انقضى ولم يُقبض عليّ بعد. لم أُهاتِف أمّي منذ عشر سنوات، ولا أحد يعرفُ مصيري، ولا أعرف حكاية حليمة بعد موت عماد وفرار قاتله المتيّم بها إلى أقصى درجات الحبّ والعشق. كلّ هذا لا أعرفهُ.

نسيتُ أمر الكاستينغ واللّجنة الساهرة عليه. تناسيتُ حلمي بأن أصبح مُمثلاً أتفنّن في لعب أدوارٍ عادية وأخرى مركّبة. عدتُ إلى البيت خائباً. أخذتُ دوشاً فاتراً لأزيل العرق الّذي أفرزه جسدي. واستلقيتُ

على فراشي. في الصباح استيقظت متهادي الخُطى، مرهق البدن ويداي ثقيلتان. خرجتُ من غرفتي صوب الصالة مصدراً زفيراً مسموعاً. وجدت أُمي تضع على المائدة خبزاً وحليباً طازجاً وجُبناً وزيتوناً وبرّاد شاي، يتوسّط المائدة، رائحتهُ تزكم الأنوف. حدّجتُ والدي يجلسُ في ركن الصالة يُتابع أخبار العالم عن كثب، ورنين صوتِ أختي، وهي تغنِي، يتردّد في أرجاء المنزل. فأدركت حينها أنّ حليمة وعماد والكاستينغ وأنا مجردّ أطياف عابرة انطمرت في تلافيف الذّاكرة الملعونة.

كل الظروف تيّسرت لاقتراف تلك الجريمة، كأنّه سيناريو فيلمٍ دراميٍّ في منتهى الإتقان، بحبكة مكثّفة ومُحكمة، وبشخصياتٍ لعبت أدوارها في مُنتهى الإبداع. الجريمة وحبّي لحليمة وكُرهي لـــ عماد، وحلمي بالظّهور على شاشات التلفاز، هي أوهام وأحلامٌ مغدورة، تلاشى بسببها العشقُ وغاض ماؤهُ المجنون.

بوابة الجحيم

أبو بكر الهاشمي- اليمن

ألقى جسده النحيل على سريره المتهالك، توسد يديه، وأطلق لعينيه العنان؛ لتبحر في سماء غرفته الضيقة، خيالات تأخذه يمنةً ويسرةً، أبواب تُفتَح أمامه للحظات، وأخرى تُغلق بقوة، عينه بحركة (بانورامية) تقع على صورة تذكارية له وأصدقائه في حفل تخرجه من كلية الآداب والفنون، ملفٌ أخضر في الزاوية اليسرى من الغرفة يضم شهاداته وخبراته، أفاق قاطعًا حبل تفكيره؛ ليمزق صورته المعلقة في الجدار، يقتربُ من ملفه الأخضر، يتفحصه بحزن، يقلب ورقاته ورقة ورقة، أبواب شتى تُغلق أمام ناظريه، يده تُمسك أركان ملفه بقوة، ارتعاشة قوية من أصابعه تمزق ما بينهما، سقط وجهه مختبئًا بين ثنايا السطور، بوابةٌ ضخمة يبطنها السواد تُفتح أمام عينيه، صوت رنين حاد من هاتفه الجوال يوحي برسالة نصية، ألقى ما في يديه من بقايا أوراق مهشمة، ساحبًا وجهه من بين ركامها، راكضًا بلهفةٍ نحو الصوت القادم _ وكأنه على موعد معه _ أخذ هاتفه وشرع يقرأ الرسالة : ((سنلتقي عند الرابعة في الحديقة)).

قبَل هاتفه بفرح، صوته المنهك: أخيرًا حظيت بفرصة عمل.

نظر إلى الأرض بازدراء، راكلاً بحنق ضحاياه الممزقة، وسار يرتب هندامه؛ استعداداً للقاء المرتقب، الساعة تشير إلى الثالثة والنصف عصراً، أخذ يسابق الزمن: دقائق وأصل إلى هناك. أسرع لا وقت للانتظار، الزمان مهم، والفرصة لن تُعَوَّض.

يصل المكان المكتوب في الرسالة، صوته: المكان هو، أين صاحب الرسالة؟ هل ذهب بعيداً؟ لا يمكن ذلك فالساعة تشير إلى الرابعة وهذا زمن لقائنا ومكانه المُتفق عليهما، لا أظنه سيُخلف الموعد، هل أناديه؟ لا لا مهمتنا تتطلب الكتمان هذا ما قاله لي، وأكده في رسالته السابقة، لن أناديه. سأبحث عنه بصمت، هناك. نعم هناك شخص يقف وحيداً قد يكون هو سأذهب إليه، سأعطيه كلمة السر ((لا زمان لا مكان)). حسنٌ سأذهب إليه. بخطوات مرتبكة سار نحو هدفه، مد يده مُسلِّمًا.

أنا هو ((لا زمان لا مكان)).

أخذ الرجل يده بقوة، وأطلق صوته الأجش: ((أهلا بك)).

أجلسه جانبه ساحبًا يده بخفه؛ ليُخرج من وسط معطفه ظرفاً، ثم أردف: فيه كل شيء أفهمت؟

- نعم نعم - قالها بارتباك_.

نظر إليه مبتسماً، ثم توارى عن العيون.

- أين ذهب؟ لقد اختفى، ثم ماذا يقصد بقوله فيه كل شيء؟

فتح الظرف بحذر ... ماذا يكون فيه؟ صورة! نعم صورة ببزة عسكرية ماذا تعني؟ وما هذه العبارة خلفها؟ ((هو الهدف)). هل كتبها هو؟

مسدس بكاتم صوت – قالها مندهشاً-.

أخذه بيد مرتعشة، وضعه في خاصرته خلسةً، صوته: وهذه نقود بعملات أجنبية أهي لي؟ لم ألمس مثلها قط، أحقاً ما يحدث؟ لا أصدق عيني، إنني أحلم، لا بل حقيقة ما يحدث وداعاً للفقر، وداعاً للبطالة، سأضعها في جيبي، وهذه الصورة اللعينة سأعيدها مكانها، ماذا سأصنع بكل هذه النقود؟ أتزوج لا لا هناك ما هو أهم سأفتتح مشروعا تجارياً لالا.

أبحر في سيل من الأفكار، طفلٌ يحاول الوصول إلى كرته العالقة في شباك الحديقة، عينه تطالع ذلك الطفل، أسرع إليه، أخذ الكرة العالقة، معطيًا إياها الطفل مبتسماً، تبسم الطفل لذلك، أشار له بالوداع، بادله الطفل التحية، لمح الطفل ذلك الظرف المنسي في مكان ذلك الغريب، أسرع نحوه، أخذه على عجل، صوته الطفولي: عمُ لقد نسيت هذا.

توقف الغريب آخذا من الطفل ما نسيه، مهدياً إياه سواره؛ مكافأة منه لهذا الصنيع.

هذه لي؟ قالها الطفل مبتسماً وهو ينظر إلى السوار المُلتف على معصمه الغض، ودعه بابتسامة، وخرج الغريب متمتماً: كيف نسيت هذا؟ إنه الهدف.

صوت آخر: محمد تعال؛ لنذهب إلى البيت.

يركض الطفلُ صوب والده، صوت رنين هاتف الغريب، يفتح هاتفه، صوت المتصل: الهدف أمامك.

يخرج الغريبُ مسدسه، يسحب الزناد بارتباك، والد الطفل في حالة ذهول، يهرع الجميع، الطفل بين يدي والده، أصوات حزن، يسقط السوار من يد الطفل، يلتقطه الغريب، يُخيم الذهول على الجميع، يسحب الغريب مسدسه من جديد، تُغلقُ البوابة، ويرتفع الأذان.

لساني الفصيح

ذة.سعادة الحارثي- الإمارات العربية المتحدة

يُحكى أن هناك طفلاً يتيماً يعيش في قرية نائية، يكاد لا يتوافر فيها أدنى سبل العيش، ورغم العوز والفقر الذي يعانيه الطفل، إلا أنه كان عزيز النفس صادق اللسان، محبوباً في قلوب الجميع؛ لذا تعهدته امرأة عجوز واحتضنته كابن لها، لما توسمت فيه من ملامح البراءة والنقاء. ولأنها لا تقدر على الحركة كثيراً، ظل يتفقد أحوالها ويراعي شؤونها؛ فازداد الحب في قلبها تجاهه.

استمر الطفل وأمه العجوز يراعي كل منهما الآخر، وذات يوم قدمت جارة الأم العجوز لزيارتها؛ إذ تربطهم منذ سنين علاقة الود والمحبة، فكانت الجارة تذهب بين الحين والآخر للاطمئنان على جارتها التي رافقتها سنوات من العمر، فجلست الجارة كعادتها مع الأم العجوز تخبرها أحوالها وأحوال القرية، مخبرة إياها أن هناك معلماً جاء من المدينة يرغب في تعليم أبناء القرية القراءة والكتابة، فاستوقف القول الأم العجوز قائلة لها: معلم؟! ومن المدينة؟! كيف ذلك؟!

فأجابتها الجارة بأنه ابن القرية منذ سنين، وقد رحل عنها، ولكنه عاد بعد أن كبر في السن ويريد أن يرد الجميل لقريته ويعلِّم أبناءها، استمرت الأم العجوز والجارة بتناول أطراف الحديث، حتى استوقفت الأم كلام الجارة قائلة: وكم يريد مقابل ذلك؟! أجابت العجوز مسرعة: لا.. لا.. لقد سمعت أنه لا يتقاضى مالاً، بل يريد أن يعلِّم الأطفال في القرية مجاناً.

تبسمت الأم العجوز تبسماً خفيفاً، وأوكلت إلى الجارة مهمة تسجيل اسم صغيرها ليرتاد مع الآخرين ويتعلم القراءة والكتابة، فاستجابت الجارة لطلبها.

حل المساء سريعاً، جاء الولد مصافحاً يد أمه العجوز، ومقبّلاً وجنتها، فأخبرته برغبتها بإرساله لتلقي دروس القراءة والكتابة عند معلم القرية، وأخبرته بأهمية ذلك، وعندما شاهد الولد تمسُّك أمه العجوز بذلك الطلب، وافق على الذهاب.

مضـى الطفل مع بقية الاطفال، فشـاهد معظم أبناء القرية مجتمعين عند المعلم، في مَضْـيَفَة من الطين والقش تلائم طبيعة المعيشـة، فجلس الأطفال جميعهم معاً، وبدأ المعلم معرّفاً عن نفسـه، وتعرف على أسـماء الطلبة المنضـمين إليه، كان بشـوش الوجه حسـن اللسـان، وكان الولد سـعيداً في حصـته الأولى في التعليم.

وعند عودته إلى أمه العجوز أبدى إعجابه بمعلمه، فاطمئن قلب الأم لحديث صـغيرها، فهي تريد أن ترد العطف بالعطف، وتريد أن تُكسـبه قيمة بين أقرانه حتى لا يكون أسـير الفقر والعوز، يوماً بعد يوم أصـبح الولد متشـوقاً لموعد حصته الدراسية.. ينتظر بفارغ الصبر بزوغ الصبح ليسرع لتلقي علومه ومعارفه.

لاحظ المعلم مسـتويات طلابه وقدراتهم، فبحكم خبرته الطويلة في التعليم يسـتطيع أن يميز الطالب من المرة الأولى، وكذلك الحال كان مع طالبنا عبد الرحمن، ففي كل مرة كان يطرح المعلم سـؤالاً يسـرع عبد الرحمن في الإجابة عن السؤال.

اسـتمر عبد الرحمن وأبناء القرية على هذا الحال أشـهُراً، حتى جاء يوماً ضـيف من المدينة إلى المعلم، ذاع صـيت قدومه في القرية بأجمعها، ولكن الأطفال في ذلك اليوم أسـرعوا إلى معلمهم لتلقي حصـتهم كالمعتاد، وتجمَّع الطلبة؛ فلم يسـتطع المعلم أن يترك ضـيفه أو طلابه فوقع في حيرة من أمره، فاسـتأذن من ضـيفه بضـع دقائق ليخبر الطلبة بأن الحصـة تأجلت للغد نظراً لحلول ضـيف، ولا بد من الجلوس معه لمناقشـة أمر مهم وطارئ.

شاهد الضيف الأطفال يتلقون التعليم، فبدأ الضيف بالضحك عالياً معلناً عن سخريته مما يفعل المعلم، قائلاً له: أهجرت المدينة من أجل هذا؟! يا لحماقتك؟!

نظر المعلم مستغرباً من مقولة الضيف قائلاً له: ألم يعجبك هذا؟!

صرف المعلم الأطفال، على أن يعودوا غداً، ومع رجوع عبد الرحمن إلى منزله استغربت الأم من قدومه باكراً فلم يكن قد مضى على ذهابه سوى بضع دقائق، فسألته: يا عبد الله! أراك على غير عادتك قد عدت باكراً.. ماذا هناك يا بني؟!

روى عبد الله القصـــة لأمه العجوز الحكيمة التي رأت من الحياة ما يكفيها، فأخبرته بأنها لم تطمئن لذلك الضـــيف بســـبب كلامه. فردّ عبد الله: نعم يا أمي، فعندما كان يطلب منا معلمنا أن نغادر، تدخَّل هذا الضيف مستهزئاً بمعلمنا.

الأم العجوز: وماذا قال المعلم؟

قال: رد عليه يا أمي بكلمات بسيطة. فاستمر عبد الله يخبر والدته بما سمعه وشاهده من الموقف الغريب، وبدأ التفكير يجوب طرقات عقله، ولكن الأم كانت حكيمة، فقالت له: يا عبد الله، اســـتمع لي جيداً يا بني! ذلك الضـــيف لا ينوي الخير أبداً؛ فالحســـرة والســـخرية والحقد في كلماته لا تدل على خير، فلا تخذلوا معلمكم أبداً.

قال: بالطبع يا أمي.

لم يكن حال المعلم بعيداً عن حال حوار الأم العجوز وعبد الله، فقد مضـــت ليلته يفكر بحديث ضـــيفه القاتل، فقد بث سـم قوله في جوارح قلب المعلم، فأمضى ليلته مشـتَّتاً قلقاً يسـتذكر كلمات الضـيف التي بقي رنين طنينها يضرب مسامع المعلم.

" لن تفلح أبداً، سيهجرونك كما هجرك أبناؤك"، رحلت الليلة بأفكارها كما شاء الله.

مع بزوغ فجر جديد تربَّع الرضـا على قلب المعلم، وانتظر قدوم طلابه إليه، وأخبرهم عن رغبته في المشـاركة في مسـابقة للسـان الفصـيح، سـتقام الشـهر التالي، كما أخبرهم بأن هذا يعتبر تحدياً ليس فقط لهم بل له شـخصـياً. بدأت التحضـيرات تسـير على قدم وسـاق كما خطط المعلم، وقام بإعداد طلابه للمشـاركة بتلك المسابقة في المدينة وهيأهم نفسياً وأدبياً ومعرفياً.

جاء اليوم المنتظر، واسـتقل المعلم وطلابه سـيارة متجهين نحو المدينة، وهناك شـاهد الطلبة بنياناً وأناسـاً للمرة الأولى، وعلى طول الطريق يســـتذكر المعلم مع طلابه الهدوء وآليات النجاح، وأن يقدموا على تقديم كل شيء باستطاعتهم فهو يثق بهم وبأدائهم.

وصــل الجميع إلى مكان المســابقة، وتم ترتيب صــعود الطلبة لجولات المنافســة بين الطلبة، وبينما يعزز ويشحذ المعلم همم طلابه، جاء الضيف المغرور مربتاً على كتف المعلم قائلاً له: يبدو أنك ستفوز؟ هههههه، تجاهل المعلم قوله، وجلس في مكانه ينتظر اعتلاء طلابه المسرح، وجلس الجميع يناظر ويستمع إلى كلمات المتسابقين، إلى أن جاءت اللحظة المهمة ينتظرها الجميع، وعلى رأسهم المعلم.

نادى منسق المسابقة على أول اسم من أسماء طلبة المعلم، فتوجه رحيم إلى المسرح وبدأ جولته، ولكن خصمه من المدينة كان بارعاً وماكراً، فأشعره بالخوف حتى أخفق وخسر، ولكن المعلم لم يكترث لما يقال واحتضن طالبه محفزاً إياه، وقال له: لقد أبليت حسناً يا بني. وسط نظرات الشماتة التي تخرج من عين ضيف المعلم.

استمرت المسابقة على حالها يفوز البعض ويتأهل، ويخسر البعض الآخر ويخرج من المنافسة، إلى أن جاء وقت مشاركة عبد الله، وأمل الفوز يتعلق بمحاولته، وكان يعلم جيداً أنه حتى وإن لم يفُز فلن يُشعره المعلم بالندم أو الحسرة أو يوبخه، ولكنه كان يريد حقاً الفوز؛ ليرد له معروفه في تعليمه هو وأبناء القرية المنسية، وبالفعل نادى عريف المسابقة على اسمه واسم منافسه في المسابقة، فترجل واتجه نحو المسرح معلناً بدء الحرب مع ذلك الساخر.

بدأ الجولة بثبات وثقة بالنفس، ومضى يُنشِد ما لم يكن لأحد أن يستوعب فصاحة القول ورزانته، قائلاً في مطلعه: -

أيعاب على المرء أقداره؟ أم يعاب على المرء أحواله؟

ثم استكمل منافسه قوله في اللسان الفصيح، ولكن قوله كان هزيلاً وهناً، وهنا واصل عبد الله كلامه قائلاً:

اسمع قولي جيداً وأمعن.. لم نأتِ هنا سُدًى
فأستكمل حديثي ضراوةً لعل سامعي يفهم مقصدي
فالعمر أقدار وأعمال خيِّرة.. فانظر ما أنت فاعل

ثم أوقف حديثه، وإذا بالجميع من حوله يصفق ويهلل له تهليلاً كبيراً، وأعلنت اللجنة المنسقة للمسابقة فوزه بأفضل قول فصيح، ولم يستطع معلمه أن يخفي ملامح سعادته بما صنع.

وهنا خرج الضيف الساخر يجر هزيمته وتكدَّر حاله على ما سمعه، وعاد الفائزون في اليوم ذاته إلى القرية ليُفرِحوا أهلهم وأحبابهم بما فعلوا.

وصلوا القرية ليلاً، ولم يكونوا على علم بأن الجميع هناك بانتظارهم رغم الوقت المتأخر ينتظرون عودتهم، بدأت السعادة تغمر وجوه الجميع، وبدأ المعلم يسرد لأهل القرية كيف أنجزوا الفوز، مشيداً ببلاغة لسان عبد الله.

توجه المعلم نحو عبد الله سائلاً إياه: من أين لك كل هذا؟! فأجابه عبد الله: من لساني الفصيح.

ضحك الجميع مما سمعوا، واستمرت السعادة عنواناً لقرية بات لسان حالها يردد:

"لساني الفصيح".

فنتازيا

بلقيس الكبسي- اليمن

بدأ اليوم مضطرباً منذ بداياته الأولى، قلق ما يراودني، ويعبث بضربات قلبي، الأجواء تتلبدُ بالهموم؛ بعد ليلٍ طويل أدمنتْ فيه الألم والسـهر، عيناي المعصـوبتان أعياهما التعب، اعتادتا على غروب كالح، بينما تتسكعُ في رحابهما جروح غائرة، أربطة غير مرغوب بها توثقهما بلا رحمة، وآلام كثير تفتك بي، رأسي وجميع حواسـه تحت تأثير وجع صـاخب؛ مرض مباغت لا تفسـير له سـيطر على حدقتي، أفقدني الرؤية، أفقدني حياتي الاعتيادية، وأرداني أليمة معصوبة العينين في عتمة لا يُرى فيها شيء.

الأحد – إجازة نهاية الأسبوع - على غير عادته يعصفُ الإرباك بهدوئه، حركة مشبوهة تختاله، مكان خال إلا من أنفاسـي المتلاحقة، يد مجهولةٌ تعصـرُ قلبي ؛ فيقطرُ القلق مبللاً جدار فؤادي ، رعب ما يتسـكع في المكان، التوجس ينخر تفكيري باحتمالات عدة، غادر الصغار المنزل للتو لحصصهم الرياضية الأسبوعية، اختفت أطيافهم وبقيت وحدي في ذات مكان مقفر ، كل ما أراه ظلامٌ حالك؛ التوجس يمارس هواياته المعتادة، أعصـابي تحولت إلى حديدٍ صُـلب، الحيرة بجواري تمارس غوايتها ،قلقي يترقّبُ حدثا ما، آيات الحفظ ترتل بخشوع ومؤانسة بجواري لتخفف ما بي من ترقب.

فجأة تحول توجسـي إلى حقيقة عنف ما يُمارس على الباب، محاولات فتحه مريبة، أحد ما يشـتبك معه وهو يأبى أن يفتح، فجأة يفتح بطريقة عنيفة، أنادي على صـغاري الذين غادروا المنزل منذ لحظات، تتردد صدى أسئلتي الحائرة، لماذا عدتهم؟ هل من طارئ؟ هل نسيتم شيئاً ما؟ لا أحد يجيب...!

أصخت سمعي لهمهمات غريبة، وأصوات خفيضة تحدث بعضها، لم أستوعب منها شيئاً، لكنها ليست أصوات صغاري التي اعدت عليها، وهذه الهمهمات ليست لهم؛ عندما يعودون بهدوء محاولين عدم إصدار أية ضجة تفادياً لأي ازعاج ومراعاة لحالتي المرضية.

حاولت النهوض بصعوبة، كل ما حولي ظلام دامس، كنتُ معصوبة العينيين لا أرى شيئاً، ناديت بصوت مبحوح: من هناك؟ هل من أحد؟ لا أحد يجيب. فجأة سمعت الباب يفتح ثم يقفل؛ فرجحت أنهم نسوا شيئاً ما وعادوا لأخذه، عدت لمكاني الذي حاولت مغادرته بصعوبة في عتمة موجعة، فجأة احسست بخطوات مريبة، أقدام وهمهمات، كأنها أشباح تحوم حولي، أنفاس حقد تملء المكان الذي يعج بالارتباك، لحظتها فقط أيقنت أن هناك خطر ما، أحد ما يتجول في المنزل بمعرفة ودراية، أشياء يتم أخذها بحذر وأخرى تسقط على غفلة، حاولت النهوض وناديت من جديد هل من أحد هنا؟ احد ما يحاول الاقتراب مني لكن شيء ما يمنعه، أحسستُ بأيدٍ تنوي الشر لكنها بدتْ مرتعشة، يختبئ بين ارتعاشاتها لطف ما يفضحُ المكيدة، احساس الرعب يتملكني، نهضت بذعر وصرخت استنجد لم يسمعني جيراني الأقرب، لكن جارتي التي تبعد عني بمقدار منزلين وصلتها استغاثتي، فهبت لنجدتي وعندما أحسوا بأنهم سوف يكشفون نهبوا ما استطاعوا نهبه وفروا هاربين ولم يُرى منهم إلا أدبارهم، أخبرتني جارتي أنها رأت هيئتهم وهم مدبرين وبأنها لا تدل على فعلتهم، كانوا مهندمين ويرتدون ملابس باهظة الثمن، لا تدل هيئتهم على فعلتهم بتاتاً.

أبلغتْ جارتي الشرطة، ولحسن الحظ أن جارتي كانت تعمل بأحد أجهزة الأمن ، وماهي إلا لحظات حتى حضرت ثلاث سيارات إحداها للشرطة القضائية المختصة بشكاوى الاعتداءات والسرقات ، وأخرى خاصة بالشرطة التقنية والعلمية التي قامت برفع البصمات وتفحص المكان، وسيارة ثالثة قاموا بتحرير واقعة السرقة، كان من بين السيارات التي حضرت سيارة الإسعاف ظناً منهم أن السطو رافقه أذي، راعهم الحالة التي أنا عليها، كانوا لطفاء ومتفهمين وقاموا بعملهم علي أكمل وجه، بعد الانتهاء من إجراءاتهم أخبروني بأن استبدل قفل الباب بآخر لأنه لم يعد صالحاً، وبعد بضع أيام سيتم إخباري بالمستجدات.

مرت تلك الأيام كعام ولم يصلني أي مستجدات عن الحادثة، رغم حالتي المرضية ذهبت للأمن للاستفسار عن أي تطورات في الحادثة فلم أجد جواباً، سوى أنه ما زال تعالي الأسبوع القادم. ما أطولك أيها الأسبوع القادم...! كان لدي فضول لمعرفة من الذي قام بالفعلة ولماذا وما الذي بيني وبينه ليقوم بإرهابي وارعابي والسطو على متعلقاتي.

بعد انتظار أليم ح3ل (الأسبوع المنتظر) وللأسف تلقيت نفس الجواب: مازال لم نتوصل لشيء. أحسستُ بأمر مريب فطلبت مقابلة المدير ربما أجد عنده جواباً، أخبروني أن أذهب لمنطقة الأمن الكبرى، هناك قد أجد الجواب وذهبت وبعد انتظار قابلت المدير، بدأت أسرد له ما حصل، تفاجأت أنه يعلم تفاصيل القضية بحذافيرها، نظر إليَّ وكلي لهفة لمعرفة جميع التفاصيل: من هو الجاني؟ ولماذا فعل بنا ما فعل؟ لم أؤذ أحدا قط فلماذا تلقيت منه كل هذا الأذى؟ نظر المدير إليَّ بعيون حائرة معقباً بحزم:

- هناك أمور من الأحسن لنا عدم معرفتها ومن الأحسن عدم السؤال عنها وإن سببت لنا ألم وأذى. استدرك:

- الحمد لله أنكم بخير ولم تكن الخسائر بشرية أما المادية فسيعوضكم الله، أنصحك أن تنسي الموضوع وأحمدي الله على سلامتكم وحاولي تغيير المنزل في أقرب وقت ممكن. عقبتُ باستياء:

- لماذا؟ فأجاب متضامناً:

- هكذا الوضع والواقع، لا تثقي بأحد ولا تدخلي دارك أحد. قاطعته مؤكدة:

- لا أحد يدخل داري، لا أزور أحد ولا أحد يزورني، نتبادل السلام كعابري سبيل فقط. عقب بنبرة تأكيد:

- حتى أبناء بلدك لا تثقي بأحد، من خلال تتبع ملابسات حادثة السرقة اتضح أنها لم تكن بغرض السرقة بقدر ما كانت بغرض الأذى وإلحاق الضرر ولكن الله لطف بكم وخيب خططهم، أنصحك وأرجو أن تفهمي كلامي احذري من أي شخص سيما المقربين منكم، غيروا منزلكم بأسرع وقت هذه نصيحة وليست توجيه، يبدو عليك بنت ناس ودرويشه وهذه مكيدة مدبرة.

صمتُ وادعيت فهم رسائله المبطنة التي أراد إيصالها لي بين ثنايا كلامه، شكرته وجمعت شتاتي وغادرت وزوبعة من الشكوك تحوم في رأسي، وسيل ن الأسئلة تتدفق في حيرتي، يا ترى من هو الفاعل وماذا يقصد بالمقربين؟ وكيف عرفوا أنني بمفردي وأنني لم أتعافى بعد رغم أنني أخبرت الجميع بتحسن حالتي وأنني بخير؟

مرت الأيام بحلوها ومرها وتوجسها وفي ذات صدفة محضة عرفت الفاعل، لحظتها تذكرت كلام المدير الذي لم أفهمه حينها "هناك أشياء من الأحسن عدم معرفتها لأنها تكون أشد إيلاماً من الحدث نفسه "ودكرت بعد حين صديقة كانت تتردد علينا فجأة لزيارتنا وتوديعنا نظراً لقرب عودتها بعد انتهاء مدة عملها، هي الوحيدة التي كانت تتردد علينا لفترة محددة باستمرار، ولكنها انقطعت فجأة كما حلت فجأة بدون سبب ولا سابق إنذار، وعلمت لاحقا أنها لم تعد بل منحت مدة إضافية واستثنائية نظراً لكفاءتها المهنية.

لحظتها قررت المواجهة ومعرفة الحقيقة كاملة، اتصلت بها لطلب موعد طارئ لمقابلتها لأمرٍ ضروري وعاجل، لكنها لم ترد على الاتصال كما أنها تجاهلت الرسائل التي بعثتها، ذهبت لمكان إقامتها التي أخبرتني عنه لكنها غيرته، وبعد جهد حصلت على مكان سكنها، حزمت أمري على مواجهتها، ذهبت والحماس يجرفني كطوفان.

وصلت لعين المكان وجدت الباب مواراً دفعته ودخلت، بدا المكان مظلماً وكئيبا وكأنه معتقل أشباح، ناديت عليها، لا مجيب. فجأة أحسستُ بطيف يشدني من الخلف ويغرز خنجراً في ظهري وضحكات انتقام مجلجلة تدوي صداها، تملكني الرعب وصرخت بعلو صوتي استنجد، صحوت والفزع يسابق أنفاسي والرعب ينصب نفسه حكماً، تلفتُ يمنة ويسرة فوجدتني ملقاة على سريري، تفحصتْ عيني فوجدتهما سليمتين، مسحتْ عيني تفاصيل غرفتي كل شيء مكانه، تلمستُ جسدي فوجدته على ما يرام، تباً لكل هذا الفزع؛ لقد كان كابوساً ملهماً.

حين حكت

هاجرعبد العزيز- المملكة العربية السعودية

"حينَ كنتُ أجمع القصـــصَ لأكتبها، ثمّ لجئت لها، حين حَكت، ثمّ حَكت ثمّ حَكت، حينَ بكيتُ أياماً، قبل أن أكتُب هذا..."

-"أقلتِ تريدينَ قصة؟ تستحِق أن تُقرأ؟ أوَتعرفين بأني لستُ قاصّةً ولا راويةً ولستُ أشاهد أفلاماً ولا أقرأ كتباً! لقد نسيتُ، لايحضُرني الآنأيةُ قِصة، سِوى ما حدث لنا منذ سنوات، سأحكي.. وقد تصلُح هذه لتكونَ قِصةً تستحق أن تُكتب".

قالت لي، وبدأت...

"كنّا نســتعد للذهاب للحفل، كنتُ قد اِحترت بين مجموعةٍ من الفســاتين، أهبطُ الدرج واتجّه نحو أمي وخالتي، التفتّ يميناً ويساراً:" وهذا؟"،"يبدو أفضل من السابق، لكنه ليس الأفضل"، وأعود لأرتدي الآخر، نصف ساعة، قبل أن نسمع ذاك الدويّ في الخارج، فزعنا، حاولنا أن نسترق النظرَ من وراءِ الباب الذي يصل بين الصالة والساحة، دقائقٌ حتى داهموا المكان وصاروا في ساحة البيت، مجموعةٌ من الشباب يحملون عصيّاً وبعضهم مسدسات صغيرة، يلحقهم المسلّحون وبأيديهم رشاشاتهم، ركضنا للداخل وأغلقنا الباب خلفنا، وانطلق سيلٌ من الرصاص لم يتوقف، كنّا نسمع كل شيء، كلّ أنّةٍ وكل صرخة.

كانت الأصوات قريبةً ومسموعةً بشكلٍ واضح، بكى الأطفال وحاول الكبار أن يتماسكوا، أمسكتْ خالتي بأطفالها وركضت نحوَ المجلس، الغرفةُ الأبعد عن سماع تلك المجزرة في الساحةِ الخارجية للبيت، تبِعنها أخواتي الخمس وأطفالهن، كنتُ أمشي ببطء من لم يَعي مايحدث حوله، كنتُ خلفهم حتى أمسكتْ أمي بيديّ وركضت بي معهم، جلسنا هناك، وضعت أختي يداها على أذنها، حاولت أن تكتم الصوت أكثر، إلى أن صرَخت :" لا يمكنني كتم هذا " وبكت كثيراً، دقائقٌ حتى سكتَ الرصاص، سمعناهم من خلف الباب :"أمامكم فرصــةٌ للخروج آمنين من هذا البيت، عشــرُ دقائق فقط"، قالوه، وانطلق كل منّا لحمل مايراه ضرورياً ويضعه في حقيبته.

جريتُ نحو غرفتي، صـرخت حين رأيتُ أختي نائمةً في السـرير، قد سـهرت الليل كله لدروسـها فلم يوقظها شيء، كانت مرهقة، "قومي!!، هُم في الخارج يوجّهون البندقية نحونا، قومي، سنخرج!" قلتْ وقفزت هي من سريرها خائفة، سبقتني للأسفل،وضعتُ هاتفي في الحقيبة وبطاقة التعريف الخاصة بي، أخرجت محفظتي، أخذت القليل وخبأت المِحفظة تحت السـرير، "قد تأتي اللحظة التي نعود فيها إلى هُنا ونكون في أشدّ حاجةٍ للمال، ستصبح حينها غنيمة كبيرة!" حدّثت نفسي، أطفأتُ أنوار الغرفة وحبستُ ألفَ دمعة، كنت أُحاول أن أتناسـى مايفعلونه عادةً بالبيوت، كنتُ أُحاول أن أتغابى عن مايمكن أن تصـير له هذه الغرفة، بل البيت كلّه!، ركضـتُ لألحقهم، قبل أن أنتبه لباب غرفة أخي وهو مغلق، كان هذا يدل على وجوده في الداخل كما اعتدنا!، اقتحمتُ الغرفة، كان يجلسُ ممداً سـاقاه على سـريره و هاتفه بين يديه، كان يضحك، "ألا تسـمع الصـراخ في الأسـفل؟ القتلى وصـلوا لسـاحة البيت وأنتَ هنا! الحق بنا بسـرعة، سـنذهب للمنطقة الشـمالية، لبيت أختي هناك"، أغلق هاتفه وهمّ أن يسـتيقظ من مكانه، عُدت نحو المحفظة التي خبأتها، حاولت أن أُخبئها أكثر، وضعتها تحت السرير ثم تحت الأرفف، ثم أعدتها لمكانها.

"سـيبقى الأمن"، أغلقت الأنوار مرةً أخرى وخرجت، مررتُ بجانب غرفته، ولم يزل فيها، كان يذهب ويجيء، :"مابك لمَ تلحقهم؟ بسـرعة تعالَ معي" ، ردّ:" لا.. لن آتي، سـأظل هنا"، صـرخت:" ماذا تقول! تعالَ، دع عنك هذا "،"سـأقاتل هنا، أريد أن أصـيرَ شـهيداً"، سَـرت رجفةٌ في جسـدي، اندفع الدمع متحجراً في عيني، صِـرت أتوسـل له :"أرجوك..."، هزّ رأسـه:" لقد حسـمتُ الأمر"، شـعرتُ بدوار، أسـندتُ جسـدي للجدار، رجوته الرجاء الأخير :"أرجوك قلت أرجوك..." وانقطع صـوتي باكياً، كنتُ أشـعر بحرارةِ الدمع على وجهي، أشـاحَ بوجهه عني :"انتهى هذا، هيّا اذهبي معهم"، حضـنته وانفجرت أصـرخ وابكي، كنت أدري بأنه إن مكثَ هنا فلن ينجو، تركته ولم ألتفت نحوه مرة اخرى، ذهبت للأسـفل نحو البقية، كانوا قد اسـتعدوا للخروج، رأيت الباب مفتوحاً، كنّا قادرين على رؤية مايفعلونه في ساحة البيت، لم يقترب أحد منّا من الباب لكننا كنّا قادرين على الرؤية، كانت جثث الشـباب موزعةً على الأرض، بين الحجارة والدماء والعصـيّ الخشـبية، أمّا هم فكانوا يمسـكون برشـاشـاتهم ويدفعون بطرفها كل ما يرونه أمامهم، كنّا نسـمع أصـوات أنوار البيت وهي تكسّـر، وألعاب الأطفال وهي ترمى وتُحطم، خرجنا، ولم نعد إلّا بعد ثلاث سـنوات حين لم يعد البيت في مكانه، قصفوا البيتَ كله.

بعد خروجنا بثلاث ساعات قدِم عمي لزيارتنا مع ابنه الصغير ذا الستّ سنوات، لم يكن على علمٍ بما حدث، دخل البيت ورأى الأرض تغرق دماً، حبسَ صرخةً كادت تخرج من أعماقه، أغمض عينيّ طِفله بيده وراح يمشي بين الأجساد الملقاة ويتفقد الوجوه، يبتلع ريقه بكل صعوبة مع كل وجهٍ جديد، كان يخشى أن يرى وجهاً يألفه، وجهاً لواحدٍ منّا نحن أهل البيت، تأكد من مرورِه على الأوجه جميعها، أمسك بيد ابنه ودَخلا، كان البيت قد خُرّب، تناثرت قطع الزجاج في الصالة، الأرائك خرّقها الرصاص، الطاولة في المنتصف كُسّرت قدماها فصارت عرجاء، الثُريا الضخمة المعلقةً في القبة الوسطى من البيت كانت قد هَوت على الأرض وتحطمت، الستائر تمزقت، الكراسي بُعثرت وغرِقت وسطَ الفوضى والغُبار، رأى الأواني المكسّرة تملأ أرضية المطبخ، حاولَ أن يتجاوز عمي كل هذا، اتجهَ للدور العلوي، ظلّ يسير بين الحطام ويدلف الغرف، يتفقد اللاشيء، كان يحسّ بالذعر، دَرى أننا غادرنا لكنه فزِع لما حلّ بعدنا، تذكر فجأة بأنه نسيَ وجود ابنه معه، التفت فإذا هو لايزال ممسكاً بيده، متشبثاً بها، لا ينطق بشيء، يجولُ ببصره وهو خائف، شعرَ بأنه أخطأ، أخطأ كثيراً لحضور الطفل معه في بيتٍ يألفه ثم يُفجع برؤيته متهالكاً وبساحةٍ ممتلئة بالجثث، حاول أن يتدارك الأمر، أمسك بيد ابنه وصعدا للسطح، كان يريد أن يبحث أكثر، وفي طريقه أحسّ أن السطح أأمن، سينسى الابن ما رآه للتو، أعطاه شريطاً محاطاً بالأنوار، أخذه من الطاولة قبل أن يصِلا لباب السطح، لَهى الصغير بالأنوار، ما إن وصلا حتّى تفاجأ عمي بأن الباب كان مفتوحاً، دفعه بيده ورأى الموتى يملؤون المكان، لم يكن قد توقع بأن تصلَ الحرب إلى السطح، تراجع، همّ بالهروب، تذّكر بأنه يجب أن يبحث في وجوههم، مضى بينهم، أغلبهم كانوا صغاراً في عقدهم العشرين، راحَ دمعه يصبّ وهو صامت يبحث، لم يشعر بقدميه وهي تطأ الأجساد تحته، استمر إلى أن رأى وجهَ أخي يغوصُ بين بقية الأوجه الميتة.

قد كان يدري، عزَم أمره منذ أسبوع، عرَفنا هذا لاحقاً من أصدقاءه، لم يكن قادراً على مواجهتنا بقراره، ظلّ في غرفته ينتظر مجيئهم، يتظاهر بالطمأنينة، إلى أن حَان وقته، وقاتلهم، فقتلوه.

ثمّ انتهى الأمر، رحلَ أخي ورحلَ البيتُ ورحلت البلاد، وانتقلنا من بيتٍ إلى بيت، ومن شِقة إلى شِقة، قلّ السّكان، وامتلأت القبور، ولقيَ نصف أحبتنا واقربائنا حَتفهم هناك، عمّي وابنه أحدهم، مَكثنا حتى

تقطّعت قلوبنا مما ترى، وتعِبت عيوننا من كثرة البكاء، حتى غادرت الطمأنينة من أفئدتنا، فَقررنا الخروج، إلى أجلٍ الله وحدَه يعلمه"،

وصمِتنا، لمَ أدري من أين أبدأ مواساتي، ومن أيّ جرحٍ أبدأ أُعالج، تلعثمْت، وتداركت هيَ:

"لستِ بحاجةٍ لقول شيء، لأن ما حدثَ أفظع وأشنع، قد اختصرتُ الحكاية لتكوني قادرةً على كتابتها إن كنتِ ستكتبين، أو نقلَها إن كنتِ ستنقلين"، تنهدَت، ثمّ ضحكت:"هاه؟، أهذه الحكاية تصلُح لأن تُكتب؟"، هززت رأسي وتحجّر الدمع في عيني وأجبت:"نعم، ستُكتب! ".

تمّت

ضجيجُ الرُّوحِ

أمّ الزّين بشاتنيَّة، تونس

...تصفَّحت كعادتِها اليوميَّةِ جديدَ حائِطها الافتراضيّ بكسلٍ وضجرٍ.. منذُ مدَّةٍ شعرت أنَّها بدأت تتعافى من هذا الإدمانِ الذي أصـابَ جيلًا بأكملهِ دونِ اسـتثناء ...العمر؟ مجرَّدُ التَّفكيرِ في هذا الأمرِ تتيهُ في شـرودٍ يصلُ بها الى حقبةٍ زمنيَّةٍ تعتبرها محرِّكَ حياتِها وربيعِها فـ"الفيس بوك "صارَ مجرَّدَ نافذةٍ تُطلُّ من خلالهِ على أخبارِ حصـيلةِ الموتى والمعاركِ السِّـياسـيَّةِ في حينِ يشـدُّ انتباهَها عنوانٌ على شـاكلةِ قلبٍ أحمرٍ يُوحي بالفرحِ، تبتسمُ وتقولُ من غير حروفٍ:

- لاشكَّ بأنَّها إشاعةٌ..فـ"الفيس بوك" لم يعدْ لهُ أهمِّيَّةٌ كالسَّابق، إلَّا أنَّها تتصفَّحهُ كجريدةٍ يوميَّةٍ بلا قرَّاءَ غيرَ مُحبِّي الرِّياضةِ.و الحظِّ و صدى المحاكمِ

ها هيَ مُنى ابنتها الافتراضيَّةِ تنشرُ على صفحاتِ النَّادي الأدبيّ إعلانًا عن مسابقةٍ أدبيَّةٍ...تبسَّمت و مرَّرت الفأرةَ إلى بقيَّةِ العناوين.. قوَّةُ مغناطيسٍ خفيَّةٍ أعادت الفأرةَ و توقَّفت أمامَ الإعلان .. قرأتهُ مجدَّدًا باحثةً بعينيها عن أمرٍ مَا...فرحت في صمتٍ عندما قرأت أنَّ السِّنَّ غيَر مهمٍّ ...تردَّدت في اتِّخاذِ قرارِ المشاركةِ ..فماذا لو أنَّها لم تنجحْ في صياغةِ نصٍّ أدبيٍّ،.و أنَّ ما ستكتبهُ سيحظى بالقَبولِ و التَّتويجِ، من طبعِها الغرورُ و كرهُ الفشـلِ ..فجأةً عادت بذاكرتها إلى أمسٍ قريبٍ هُوَ ليسَ قريبًا إلَّا في ثنايا روحِها، أمَّا واقعا فتقديرهُ عشـراتِ السِّـنين .مجرَّدُ محاولةِ عدِّ هذا الكمِّ الهائلِ منَ الزَّمنِ المبعثرِ تشـعرُ بثقلٍ في كتفها الذي بدأ يتألَّمُ منذُ مدَّةٍ لعلَّهُ يئنُّ أيضًا تحتَ وطأةِ تلكَ السِّـنينِ العجافِ التي يتحمَّلُ وزرها دونَ بوحٍ و لا شكوى ..هذا الشُّرودُ الذي لا يرتاحُ ولا يفارقها إلَّا إثر تنهيدةٍ تظلُّ تلازمُها في كلِّ نفسٍ يصـعدُ أو ينزل...تبتسـمُ غيرَ مباليةٍ فتلمعُ عيناها الكسـتنائيَّتانِ لترى تلكَ الطِّفلةَ دائمةَ المرحِ و الفرحِ ...كانت وردةً بكلِّ ألوانِ الرَّبيعِ تحلَّت ...فراشـةً تعشـقُ التَّحرُّرَ و الانعتاقَ من شـرنقةٍ تلفُّها حمايةً و سجنًا...حمايةً من ماذا؟... لا أدري بالضَّبطِ.... تفاهاتٌ...كانت تقفز وتطوي المسافاتِ بلا تعبٍ.. تساءلت بلا مبالاةٍ:

-هل لهذا الأمرِ علاقةٌ بهذهِ الآلامِ الحادَّةِ التي تلازمُ ركبتيها منذ تعدَّت حدودَ الشَّباب؟ شباب؟ ...

تحرَّكَ رأسُــها يمنةً و يســرةً كأنَّها تمحُو هذا الخاطرَ الموجعَ ســريعًا ..تبتســمُ ســريعًا كأنَّها أفلحت في ذلكَ ..الابتسـامةُ صـارت عادةً فقط، لا تجدُ لها طعمًا..كأشـياءَ أخرى كانت تعدّها فيما مضى منَ الجمال، زادت الغربةُ غربتَها إيلامًا ..فكانت تصــرخُ فى داخلها صــرخاتٍ داميةٍ.كلَّما أرجعتها الذَّاكرةُ الحمقاءُ إلى ذلكَ الزَّمنِ حيثُ تشـتمُّ فيهِ رائحةَ قهوةِ أمِّها صـباحًا باكرًا فقد كانت لا تسـتفيقُ إلَّا إذا اشـتمَّتها و اشـتمَّت رائحةَ أمِّها الممزوجةِ بروائحِ الحطبِ و الفحمِ ..أمُّها كانت تشــعلُ النَّارَ للتَّدفئةِ و لتحضــيرِ الشَّــاي و القهوةِ صــباحًا، لعلَّهُ إدمانٌ أيضًــا...ربَّما ..ســتظلُّ صــبيَّةً ممتلئةً بالحياةِ وهيَ بين يدي ذاكرتِها و كأنَّ الزَّمنَ و الألمَ و التَّعبَ كلُّ ذلكَ في تعبيرةٍ واحدةٍ قد توقَّفَ لينحيَ تقديسًــا لهذا الحيّزِ الزَّمنيّ الموغلِ فى الخيال ..كأنَّهُ يأتي منَ السَّرابِ أو من ضبابِ الأمنياتِ بتوقُّفِ الزَّمن فعقاربهُ لاذعةٌ لا سمَّ فيها إلَّا ثقلًا و وجيعةَ الغريبِ فى وطنٍ بلا وطنٍ

أيقظها صوتُ بريدٍ واردٍ من صفحتها الافتراضيَّة.. أحدٌ مَا يطلبُ صداقةً، أمعنت النَّظرَ إلى صورتهِ.. إنَّها لا تعرفهُ... ســبعينيٌّ متقاعدٌ. تصــفَّحت حائطهُ الافتراضــيَّ وجدت أنَّ معظمَ أصــدقائهِ حســناواتٌ وأســماءٌ مشبوهةٌ أو مستعارةٌ. ضغطت على زرٍّ رافضةً الطَّلب...سبعينيٌّ بالتَّأكيدِ قد تأخرَّتَ بنصفِ قرنٍ... ابتسمت ابتسامةً هازئةً ...فكَّرت لوهلةٍ لو أنَّ الحياةَ سهلةٌ وبسيطةٌ بضغطكَ على زرٍّ يتغيَّرُ كلُّ شيءٍ.

قد نمرّرُ ما يمكنُ أن يزعجنا أو يؤذينا..بسرعةٍ و دونِ تعبٍ ...في الماضي كانَ ذلكَ مستحيلًا...وما زالَ كذلكَ.

كلَّما تصفَّحت منشوراتِ الــ"فيس بوك"على جدارها تمتعضُ إذا وجدت أقلامًا تسيءُ للغةِ الضَّادِ، فمجرَّدُ عدمِ التَّفريقِ بينَ الظَّاءِ و الضَّــادِ كارثةٌ فى المعنى..ألا تفهمون...ابتســمتْ وهيَ تتذكَّرُ كم حاولت أن تصــلحَ بعضَ الأخطاءِ فإذا بها تُعاملُ بالصَّــدِّ وتُقابلُ بالامتعاضِ فتلجأ إلى الحظرِ ...أنتَ وأنتَ وأنتِ هيَّا اغربُوا عن حائطي...

توقَّفت عندَ هذهِ المصـطلحاتِ.. حظرٌ وإزالةٌ ونشـرٌ ومشـاركةٌ ووجوهٌ صـفراءُ بدلَ إحسـاسـكِ الضَّـاحكِ أو الغاضبِ ...تساءلت:

-صارت حياتُنا معلَّبةً جاهزةً كأكلنا وأجهزة تنفُّسنا.. لا طعمَ فيها ولا ذوقَ، هيَ هيَ مكرَّرةٌ دائمًا....

تنهَّدت مرَّة أخرى ...ها قد عاودها الحنينُ إلى ذاكَ الزَّمنِ البعيدِ و هيَ تعشــقُ الكتابةَ حرفًا حرفًا تحبُّها و تخشى الاحتراقَ بها في الآنِ نفسهِ، كانت تتصعَّدُ الحرفَ مشقَّةً كما المخاضِ العسيرِ ..ولكنَّها كانت لا تتعبُ أبدًا رغم ثقلِ الحرفِ الذي عايشتهُ منذُ الصِّبا ...حرَّكت رأسها المثقلَ بالهمومِ و الذِّكرياتِ يمنةً و يسرةً في هدوءٍ المرَّةَ، و استرقت ابتسامةً من ذاكَ العهدِ السَّعيدِ، و ضغطت زرَّ الخروجِ و قرَّرت ألَّا تشاركُ في سباقٍ لا يمكنُها حتَّى السَّــيرَ فيهِ إلى نهاياته، لقد ترهَّلَ الجســمُ و القلمُ كلاهما....وحدها الذِّكرياتُ مازالت في عنفوانِ الألم.

القائمة القصيرة الممتازة

صنف أفضل قصيدة فصيحة

ما لمْ يَخرجْ مْنْ جُبّةِ الحلّاج

محمد النعمة بيروك-المغرب

هـــذا الفضـاءُ رُؤىً فقـــدِّرْ شأنَــهُ

قـــدْ لا يعـــودُ وســـوفَ تسألُ أيْنَهُ

كــمْ مِنْ عصاً جرّبــتَ في بحرِ السُّدى

حتى تعِبــتَ وظــلّ يُغلِــقُ جَفْنَــهُ

إنّ الـمُــناطِحَ غَـيْـــــرَهُ بِتفـــرُّدٍ

رغــم التّجَبُّرِ ســـوفَ يُــوهِي قَرْنَــهُ

وإذا خـــلا وطــنُ الفجِيعَةِ مِــنْ عُلاً

سيَبُـــــثُّ في كلِّ النّــواحي حُزْنَــهُ

القـابِعـــونَ بِسِجْنِـــهِ في حيْـــرَةٍ

والعـابـــراتُ إلى الـــرّدى يَنْدُبْنَــــهُ

إمّا فشَــــــتْ فستَبْتَـــدي نَيْــرُونَها

لـنْ تَرْقُـــــبَ النّـــارُ الكئيبــةُ إذْنَــهُ

فـاتْبَـــعْ هـــدى قَبَـــسٍ ولـو لتبيُّـــنٍ

مـا لـمْ تكـــنْ تخشى بلَمْـــحٍ خوْنَــــهُ

واخْلَعْ نِعالَ العَسْفِ في وادي الصّـدى

الـمــاءُ يعـــــرِفُ مـن يُـراعــي شـأنَـــهُ

ستظــــلُّ في عُـمْـــــقِ الـظّلامِ مُكَبَّلاً

حتـــى وإنْ كَـــرّرْتَ ألْـــفـاً لَـعْـنَـــهُ

لا تتّبــعْ سيـزيــــــفَ فــي أعْبائــهِ

والـصّـخْـــــرُ بالـتّكـــرارِ أعْيا مَـتْنَـــهُ

ضـــعْ عنك صخْــرَ النّصّ إلا مِنْ رُؤىً

سـتعيدُ للكـــوْنِ الـمُنـــوَّعِ حُـضْنَـــهُ

ضَعْ عنك صخْرَ الوَهمِ واخْتلِقِ المَـدى

في ألْـــفِ سيزيـــفٍ يُعيرُكَ عَــــوْنَهُ

هــذي الـمـــدينةُ ألْفُ بــابٍ مُشْـــرَعٍ

لـلآخـــذينَ مِـــنَ الـتّجـاذُبِ يُمْنَـــهُ

وهـنا البقـــاءُ فُسَيْفِســـاءٌ فـــي الثّرى

لا شَـكْــلَ في الأشْجارِ يفـرضُ لَوْنَـــهُ

كمْ يوسُـــــفٍ وَسِــــعَ المدَى تأويلَهُ

لــــــولا العبــارةُ ما تحمَّــلَ سِجْنَهُ

خُــــذْ مِنْ حمـــامٍ زاجِلٍ غُصنَ النَّدى

لــــنْ تـــورِثَ الغِـــرْبانُ إلا دَفْنَـــهُ

أسّـــــسْ خيـــالكَ مانِعاً ومُنـــوّعاً

واحْلــمْ بصـــوتِ النّاسِ يُعْلي شأنَـهُ

لا طيْــــرَ يأكُلُ مـــن رؤوسِ الحالميـنَ

بهالـــةِ الضّـــوءِ المـــهادِنِ لحْنَـــهُ

اليَـــوْمَ تحمِلُكَ الـــرُّؤى في فُلْكِها

ويَمُـــــدُّ جُـــودِيُّ العِبارةِ غُصْنَـــهُ

في جُبّـــةِ الحـــــلّاجِ معنى آخَـــرٌ

لـــــولا الإدانةُ كـــان حقّاً حِصْنَـــهُ

بَرَاهِينُ الوَلَهْ

أسماء طلعت رمضان محمد المليجي

-مصر-

"حوار"

- يا جدُّ لي خِلٌّ أضَرّبهِ الوَلَهْ

فمعاول الفقدان تنبش أوّلَهْ

أمّا أواخر حُلْمهِ فقد انحنتْ

شاختْ سنابلهُ بروحٍ مهملَةْ

في خاطري حزنٌ عليه وغصّةٌ

هل في جراب الصبر ما أهديه لَهْ؟

= دعني أهنّئُ صاحباً

في قلب حرصكَ رابضاً

فالحظّ حتماً دلّلهْ!

هل قالها

ثم استوى بالصمتِ يبلع ريقهُ

والصوتُ ضَجّ فأرسلهْ:

الموتُ... قبلتُهُ الـ.. وحيدةُ... يا بنيّ

فالقلب مذ يخلو... يصير كقنبلةْ!

نفذ الكلام إلى الغلام كطلقةٍ

رضّت حشاشة لُبّهِ والأخيلةْ

والشيخ قال بلهفةٍ مستدركاً

والعين من أثر البشارة مُكْحَلَةْ:

هذا وإلا فالنجاة بزهرةٍ

في دربها الأشواك تبدو موغلةْ

شيءٌ من الآلام قبل النزفِ

بعدهما الجراح ستنطوي

والأمر له

- بالله جُد يا جدُّ وارحم فزعتي!

إذن انتبه، لا تلتفتْ لو أنملةْ

وتعلّقَتْ عينُ الفتى

بخطوط عُمرٍ كالخريطةِ

شرحها ما أطولَهْ!

وتسللّ الصوت الرخيم متابعاً:

للورد تكلفةٌ... فـ خُذ... لتموّلهْ

قسطٌ من الإيقانِ ثم توكّلْ

ثمّ الرضى في القلب يغدو البوصلةْ

تدخل الولد الحزين مغاضباً:

- يا جدُّ ما جدوى الحكايا المرسلةْ!

عن أيّ إيقانٍ وما الـ...

عن صانعٍ للفلك لا بحرٌ طغى ليوكّلهْ!

عن نظرةٍ لعصاً فصارتْ حيّةً

تسعى، تشقّ اليمّ حتى تفصلَهْ!

وتبخّر الغضب الوليد مُكوّناً

فوق الغلام غمامةً مِنْ أسئلةْ...

- الأنبياء لهم كراماتٌ!

ونحـنُ

لنا اختباراتٌ بحقّ المقصلةْ!

هذا اليقين

مرادهُ اطمئنان قلب السائرين

إلى المتاعب هرولَةْ

معَ علمهمْ أنّ النتائجَ والأجورَ

كعملةٍ... فوريّةٍ... ومؤجّلَةْ

- أمّا التوكّل؟

فالتماس البرد في حضن القضاءِ

وإن كوى...

لن يعذلَهْ

ثقةً بأنّ الله يُرسل دائماً

ما تستطيع فروعنا أن تحملهْ

لا بأس بالوجد الرقيق فبعضهُ

يهدي اللُّحاءَ وداعةً ليجمّلَهْ

لا ضير إن جُرحت لنا ساقٌ

لأنّ الله حافظ من هوى ليغربلهْ

- هذا الرضى؟

= كلا!

وسربله السكوت بثوبهِ

وغشاهُ سحرٌ كَلّلهْ

ثمّ اهتدى

وكأن كفّ حديثهِ

كانتْ تفتّش عن ثقوب التكملةْ:

إنّ الرضى... خيطٌ... سماويٌّ

يخيط الجرحَ، والتخدير وُدٌّ أثملَهْ

لولاهُ ما حضنَ الخسارةَ خاسرٌ

وبقلبه شَكَرَ المسارَ وقَبّلَهْ

مُتزاحماً فيه السكونُ المُقْتَفِي وجع الحكاية معْ سكون المرحلةْ!

- إذن الرضى هو زهرة الترياقِ؟

لا!

بل صدق حبٍّ للإلهِ تَخوّلَهْ

فالقلب يا ولدي كقطعة معدنٍ

يُجلى إذا احتدّتْ براهينُ الولَهْ!

نَهْرُ الْمِلْحِ

تمَّام حسين طعمة-سوريا

تعبَ الذي عرَّاكَ، من أكفانِه

ومضَى يجرُّ الوقتَ خلف دنانِه

متثاقلًا كالليلِ، يحضنُه الرَّدى

وصراخُه ينشقُّ عن أجفانِه

يهفو إلى صَخرِ الكلام، كأنَّه

عشقَ الحياةَ وضدَّها بلسانِه

يرتدُّ عاصفةً تفيضُ شجونُها

في خوفهِ، فيغورُ في ألحانه

رئتيه من قلقِ الدخان يبثُّها

سحبًا تدورُ على انحدارِ كيانهِ

يتنفَّسُ الجهةَ البعيدةَ كلَّما

ضاقَ المجازُ على انكسارِ مكانهِ

جسدٌ من الشكِّ المدوَّرينحني

شجرًا تيبَّس فوقَ رملِ دخانِه

عرَّى ظلالَ حروفِه فتمايلتْ

لغةُ الأزقةِ في صدى عمرانِه

واستمطرَ المعنى ليبني موطنًا

من وهمِه، فهوى على بنيانِه..

دمُه الذي أهدى البلادَ خلودَه

ما زالَ يلعقُ أغنياتِ زمانهِ

يجري بمتَّسع يضيقُ بفيضِه

فيجفُّ نهرُ الملحِ في أحزانهِ

أخفاه في هذي القصيدةِ ريثما

تتوحَّد الأرواحُ في أبدانهِ

فتكسرت أغصان حيرته دمًا

وتبعثر الماضونَ في أغصانِه

لكنَّه يمضي ودون حصارِه

وطنٌ يطلُّ عليهِ من أركانه

ينتابه ليلًا كظلٍّ مؤمنٍ

بالحلم، يهربُ من يدَيْ إيمانه

فيظلُّ يضربُ رأسَه حتَّى يرى

صوتَ الجراحِ ينزُّمن آذانِه

ويرى الجياعَ على امتدادِ حقولهِ

سكرَى، يعبُّونَ انفجارَهو انِه

يتلمَّظون غيابَه تمرًا، ولا

يتلمَّسونَ رهانَه برهانِه

هو هكذا جِهةٌ تطلُّ غو ايةً

ويَسوسُ قادمُه هوى شيطانهِ

عبثًا تقوّمه الدُّروبُ فترتقِي

عبثيةُ الإنسان في إنسَانهِ

الفهرس

تمهيد 6

النتائج النهائية: 8

على مرافئ الكتاب: أ. إبراهيم أوحسين... 10

حبل الدهر المفتول: حفصة اسر ايدي- المغرب 17

إلى بعيد: أحمد محمد الطيب- مصر 19

عمود إنارة ثمل: عبد الجليل ولد حموية -المغرب..... 23

الوطن الذي...: يونس شفيق-المغرب..... 27

اللعنة المباركة: سهام البهجة-المغرب 30

الضفيرة: شيماء أبجاو- المغرب 34

الدائرة: ميمون حِرش- المغرب..... 39

أحلام مغدورة: سفيان البرّاق، المغرب 43

بو ابة الجحيم: أبو بكر الهاشمي- اليمن..... 48

لساني الفصيح: ذة.سعادة الحارثي- الإمارات العربية المتحدة..... 51

فنتازيا: بلقيس الكبسي- اليمن..... 56

حين حكت: هاجر عبد العزيز- المملكة العربية السعودية 60

ضجيجُ الرُّوح: أمِّ الزِّينِ بشاتنيَّة، تونس..... 64

ما لمْ يَخرجْ مْنْ جُبّةِ الحلّاج: محمد النعمة بيروك-المغرب..... 68

بَرَاهِينُ الوَلَهْ: أسماء طلعت رمضان محمد المليجي-مصر..... 71

نَهْرُ الْمِلْحِ: تمَّام حسين طعمة-سوريا 76